19me, année No 934

LeCaire 28 — 5 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات بك

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٤ « القاهرة فى يوم الأثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٧٠ — ٢٨ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

عقبات تعترض النهضة

فى البلاد العربية

للدكتور محمد يوسف موسى

نعم ، كنا نحس إحساسا شديدا هذه الأيام بأن هناك عقبات تقف فى سبيل النهضة فى البلاد الشرقية أو العربية أو الإسلامية ، وكل هذه التعابير تؤدى فى رأينا مدلولا واحدا . عقبات يرجع بعضها إلى سوء توزيع موارد الثروة الطبيعية إلى حد شنيع يثور من أجله الضمير والدين ، فكان من ذلك الفقر والحرمان والجوع ، وهذا ثالوث بغيض ولاسيما وهو لم يدع لنا لحظة نفكر فيها فى الغد ، بله نهضة الوطن الأكبر ! ويرجع بعضها ، فى رأى غير قليل من الكتاب ، إلى أننا لم ننطلق الانطلاق كله فى اصطناع مظاهر الحضارة والحياة الغربية ، متناسين أن لكل أمة مقوماتها التى بها يكون لها كيان خاص ووجود محترم . كما يرجع بعضها الآخر إلى أن الزعماء والساسة لا يريدون حقا هذه النهضة ، ما داموا لا يتخذون الطرق المؤدية لها

على أن هناك عقبة أخرى لها فى رأيى الخطورة البالغة ، ومن ثم يجب أن نعمل — ولكن فى تؤدة وتبصر — على إزالتها من الطريق ، نعنى بها افتراق عقلية الأمة العربية افتراقا كبيرا إلى عقليتين مختلفتين ، كل واحدة منهما لها فهمها للحياة وأهدافها ووسائلها التى تتعارض وما للعقلية الأخرى من هذا كله ، وبذلك يشق العالم العربى بين هاتين العقليتين المتباعدتين :

١ — عقلية مدنية تعرف الغرب وتأخذ عنه وعن نظمه وتقاليده وحضارته ، أكثر بكثير مما تعرف العروبة والإسلام وحضارته

٢ — عقلية دينية تجهل علوم « العصر » وحضارته ، ونشأت على الدين دون أن تفهمه فهما صحيحا أو تعنى بتطبيق مبادئه وأصوله ، والحكم هنا طبعا على المجموع لا على الجميع

ورجال العقلية الأولى بيدهم أمر الحكم وسياسة البلاد ، وقد فتنهم الغرب بمظاهره الخادعة ، وجهلوا الدين جهلا يكاد يكون تاما فاحتقروا ممثليه ، وظنوا من الخير التخفف منه ومن تقاليده ، لأنه — كما زعموا — لا يساعد على النهوض ، وتناسوا لجهلهم بالتاريخ مقدار ما أفاد الغرب والإنسانية عامة مما فى الإسلام وحضارته من حيوية ومبادئ صالحة للحياة القوية المزيزة الكريمة

إن هؤلاء الناس لا يعرفون ، حين يشيدون بما قررت الثورة الفرنسية من حرية وإخاء ومساواة ، أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه هو الذى وضع أساس ذلك كله مستوحيا روح الاسلام — حين قال : « لم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم

أحرارا » ! وحين رفض أن يصيب من طعام لا يجد عامة المسلمين السبيل إليه ، وكان ذلك الطعام من سنام جزور ! ولا يعرفون كذلك أن عمر أيضا هو الذي وضع الأساس العملي للعدالة الاجتماعية وضمان المعيشة الطيبة للناس جميعا ، بما فرض على الدولة من نفقة للفرد — بله المسلم ! — وعياله حين يعجز عن العمل

أما رجال العقلية الدينية ، فقد عرفوا ظاهرا من الدين ، حين ظنوه رسوما تقام وعبادات تؤدى فحسب ، وتجاهلوا حقيقته وغايته ووسائله ، جهلوا أو تجاهلوا أن للدين رأيه في تحصيل القوة ، ورأيه في الحرية والمساواة بين الكبير والصغير ؛ فلا سادة ولا مسودين إلا بالعمل الخير يقوم للوطن والأمة . جهلوا أو تجاهلوا أن الدين ، فضلا عن أنه صلة بين العبد وربه تقوم على ما نعرف من شعائر وعبادات مقدسة ، يدعو في إلحاح إلى أن تقوم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، أو بين الحاكم والمحكوم ، على أساس العدل والتسوية ؛ كما يدعو في إلحاح كذلك إلى عدم الخوف إلا من الله وحده ، وإلى أنه لا طاعة لمخلوق ، مهما علا شأنه ، في معصية الخالق . أليس رسول هذا الدين ، صلوات الله وسلامه عليه ؛ يقول : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، أو كما قال !

ولو عرفوا ذلك معرفة عملية حقة لجاهدوا مع المجاهدين في بعث الأمة من نومها ، ولأعدوا الشعوب للمطالبة الجادة القوية بحقوقهم ، ولجملوا بهذا ولاة الأمر في الشرق من عوامل نهضته بدلا من أن يكونوا حجر عثرة في طريق هذا النهوض

لقد عكفنا على الماضي وحده ، وتجاهلنا العصر ومعارفه وعلومه التي لا بد منها للنجاح في الحياة ؛ ولتسخير الكون لنا كما أمر الله ، واكتفينا بترديد أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان . دون أن نكلف أنفسنا محاولة تبيين أن له حقا هذه المزية والفضيلة ، وهذا لا يكون إلا بالبحث والمقارنات بين النظم القائمة وبين نظم الإسلام وتقاليده

كان من هذا ، كما نرى ونلمس ، أن زادت الهوة بين فريق الأمة اتساعا . وكان من هذا أيضا ، أن صارت الأمة لا تسمع لنا ، نحن رجال الدين ، ما دمنا نعيش في نطاق خاص محدود ، وما دمنا لا نضرب بأعمالنا للأمة المثل الطيبة الصالحة في تقويم المعوج وإن أوذينا في أرزاقنا وأنفسنا وأبنائنا !

ولا علاج لهذا في رأينا إلا بتوحيد التعليم على أساس قوى من التمكين للدين والثقافة الإسلامية ، بأوسع معانيها وحدودها ، في مرحلة التعليم العام الابتدائي والثانوي ثم بعد هذا ، يجب ألا نكتفي بالماضي نتغنى بأمجاده ، بل علينا أن نبني عليه فنصل الماضي بالحاضر ؛ وأن نفيد من حضارة العصر ، فنعمل على أن يكون منا ، بجانب الغربيين ، مخترعون ومكتشفون ورجال صناعة . ولن يكون لنا هذا كله أو بعضه ، ما لم نقض على هذه الثنوية في التعليم على الأساس الذي بيناه ، وحينئذ يتعاون أفراد الأمة جميعا ، سواء من آثر بعد المرحلة العامة في التعليم التخصص في العلوم المدنية ، ومن آثر التخصص في العلوم والثقافة الدينية الإسلامية

هذا ، والله يهدينا جميعا سواء السبيل

محمد يوسف موسى

بحث مقارن :

أصل كلمة « ختن »

للأستاذ الأب مرمرجي الدومينيكي

يتهمني بعضهم بالتعصب الشديد للعربية لجاهرتي بتفوقها على أخواتها السامية من وجوه شتى ، منها محافظتها على الأصول البدائية المريقة في القدم . ويرشقني غيرهم بسهام الملام ناسبين إلى « الابتداع في عالم اللغويات » ، لقولي بأن « الثنائية والألسنية السامية » من أنجع الوسائل للتحقيقات المعجمية ، ومن أمكن الأسس للاشتقاقات اللفظية ، والتطورات المعنوية

على أن أفضل السبل في نظري وحسب خبرتي للرد على هذه المدعيات هي اللامبالاة مع المثابرة على اتباع خطتي المختطة من أمد بعيد ، وترك الخيار لأهل الذوق والعلم في قبول النظرية أو رفضها

في هذه الفرصة أتخذ موضوعا للبحث كلمة « ختن » الزاعم بعضهم بأنها سريانية دخيلة في العربية . وقبل إنعام النظر في الموضوع أسرد مواد البحث كما هي واردة في الألسنة السامية

السريانية : خالية من المجرد . وفيها « حتنا » : ختن ، صهر ، عريس . « حثين » خاتن ، صاهر . « إتحتين » : صاهر ، تزوج

العبرية : « ختن » : ختن ، حمو . « خوتين » : زوج ابنته ، تصاهر . « هتختين » : تصاهر . « خوتن » : صهر ، ختن ، زوج البنت ، عريس ، ذو قربى

الأكدية : « ختانو » : قطع ، حمى . « ختنو » سكين ، موسى ، حماية . « ختانو » : صهر ، ختن ، حمو

الحبشية : لا وجود فيها لهذه المادة

العربية : ختن الشيء : قطعه : ختن الغلام : قطع قلفته . اسم الفاعل : خاتن . اسم المفعول : مختون وختين . المصدر . ختن وختان ، ودعوة الختان . حرفة الخاتن : الختانة . الختن :

٣٦٠٤٤

الحمو ، وكل من كان من قبل المرأة ، مثل الأب والعم والأخ . والختن أيضا : زوج ابنة الرجل ، أو صهره . وأصل المعنى في هذه المادة : القطع

تفسير وتعليل :

١ — إن الرس الأصيل لهذه المادة وارد في العربية وحدها ، دون بقية أخواتها السامية . وهذا الرس هو الثنائي « خت » ، المراد به : طعن بالسنان متداركا . وهو بدء المعاني المتطورة ، وفي الطعن قطع

٢ — توسع الثنائي « خت » بزيادة النون تذييلا ، فنجم عنه الثلاثي « ختن » . ومعناه الأول : قطع ، من باب الإطلاق . وهذا مدلول القطع وارد أيضا في الأكدية ، في لفظة « ختانو » . ومنه « ختنو » : سكين ، موسى ، أي آلة القطع . ثم دل في الأكدية أيضا على « الحماية » . لأنها متوقفة على منع أو قطع الأذى من أن ينزل بالشخص المحمي

٣ — لكن في العربية وحدها جاء ، من باب التقييد ، الفعل « ختن » ، بمعنى قطع القلفة . والفاعل أو المحترف « خاتن » ؛ والمفعول أو المتحمل العملية « مختون وختين » ؛ واسم العمل « الختن والختان » ثم الدعوة أو الوليمة بمناسبة الختان . و « الختانة » حرفة الخاتن . وورد في السبئية « مختن » : دار الختان

٤ — كل هذه الفحاوى المتضمنة في فعل « ختن » ومشتقاته لا وجود لها في العبرية ، ولا في السريانية ، ولا في الحبشية . لأن الفعل المستعمل في العبرية للدلالة على الختان هو « مول » ، والختانة « ميله » ، والخاتن « موهيل » . وفي السريانية ينظر إلى فعل « ختن » « جزر » ، والختانة « جزرتا » ، والخاتن « جازورا » . كذلك الحبشية لا أثر فيها لفعل « ختن » . فإن الوارد فيها هو فعل « كسب » (يقابله في العربية : كسف) و « جزر » (ينظر إليه في العربية : جزر) وكلاهما بمدلول : ختن

٥ — في العربية ، يطلق اسم « الختن » على أبي الزوجة ، وعلى كل من كان من قبل المرأة ، مثل العم والأخ . ويراد به

أيضا : زوج ابنة الرجل ، أو صهره . ومنه صدر فعل خاتن : صاهر

٦ — فى العبرية ، وردت لفظة « ختن » دالة ، كما فى العربية ، على الحمى أو أبى المرأة . و « خوتن » بمعنى الصهر ، أو زوج بنت الرجل ، والعريس ، والمختون أما السريانية فلا يوجد فيها إلا كلمة « حتنا » بمدلول الختن والصهر . ومن « حتنا » اشتق ارتجالا المزيدان « حتين » و« إتحتين » . صاهر، تزوج . أما أبو المرأة فيقال له : « حم أو حما »

٧ — فى الأكدية ، يطلق « ختانو » على الحمى والصهر معا . أما الحبشية فلم يرد فيها أدنى صيغة من هذه المادة بمعنى الحمى والصهر ؛ لأن المستعمل فيها هو « مرعاوى » : صهر عريس . ومؤنثه « مرعات » : عروس . و « حم » بفحوى الحمى

٨ — كل ذلك يدلك على أن هذه المادة قد بدأت فى العربية وحدها . وتوسعت بطريق التطور الطبيعى والنطق العام ، من الثنائى « خت » إلى آخر المداليل لفعل « ختن » ومشتقاته . وتماثلها الأكدية فى ذلك بعض المماثلة . أما العبرية ولاسيما السريانية — فالتطور فيها ناقص . إذ لا فعل مجرد فيهما يدل على الختان

٩ — ولمعترض أن يقول : أية مناسبة بين « الختان » ورابطة القرابة الأهلية بين الأسر ؟ الجواب على هذا هو أن التاريخ يفيدنا كثيرا فى شأنه لأنه يعلمنا أن (الختان) كان عند أغلب قدماء الشعوب ، من الشروط الضرورية لدخول المرء فى الحياة الاجتماعية ، ومن الأمور الممهدة للحياة الزوجية ، فكان يجرى قبل الزواج . وكان الأب ، أو رب البيت يقوم بهذا العمل . وشاهد ذلك عمل إبراهيم الذى ختن هو ذاته ابنه إسماعيل ومن كان فى بيته

١٠ — وكان من حقوق الأب أن يشترط على من يخطب ابنته ، أن يختتن قبل زواجه ، ولما كان الأب هو الخاتن ، أو الملزم بختان صهره ، دعى فى العبرية والعربية (ختنا) أو قل (خاتنا)

١١ — وإذ كان خاطب بنت الرجل أو صهره ملتزما بأن يكون مختونا قبل زواجه ، سمى هو أيضا فى العربية والعبرية (وفى هذا وافقتها السريانية) ، وفى الأكدية باسم « الختن » بمعنى المختون أو الختين

١٢ — ومن يعرف العبرية ويطالع العهد القديم من الكتاب المقدس يجد التأييد لما بسطناه فى كثير من المواطن . من ذلك ورد « ختن » فى النص العبرى بدلالة الحمى ، فى الآيات التالية : خروج ٣ : ١ ؛ ٤ : ١٨ ؛ ٨ : ١ — ١٥ . قضاة ١ : ٦ ؛ ٤ : ١١ . وجاءت لفظة « خوتن » بدلالة الصهر ، فى هذه الآيات الأخر : سفر الخلق ١٩ : ١٢ ؛ خروج ٤ : ٢٥ . قضاة ١٥ : ٦ ؛ ١٩ : ٥ — ١ صموئيل ١٨ : ١٨ ؛ ١٢ : ١٤ .

١٣ — ومن باب التوسع ، شمل اسم « الختن » غير أفراد من العائلة ، كالعم والأخ ؛ لا ؛ بل ن جميع أقارب المرأة يدعون « أختانا » بالنسبة إلى الصهر ، أو زوج بنت الرجل

فأين من كل هذه الحقائق الجلية زعم القائل « ختن حرف سريانى . » ومراده بذلك أنه دخيل فى العربية من السريانية . ومن هذا البحث يظهر بوضوح تفوق العربية على أخواتها السامية ، لصيانتها الأصول القديمة ، والرساس البدائية . وتتجلى أيضا فائدة « الثنائية والألسنية السامية » للأبحاث المعجمية ، وبهذا تسقط المدعيات الاعتباطية ، والسلام

الأب مرمرجى الدومنكى

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

لعلك أيها القارئ الكريم توافقني فيما أذهب إليه من أن عظمة الأمم ترجع أولا وقبل كل شئ إلى عاملين هامين: أولهما قوة روحية تدفع أبناءها إلى تضحية أرواحهم من أجلها وإلى استعذاب الردى في سبيلها وهو ما يمكن أن يسمى بالإيمان الوطني - وثانيهما قوة مادية تحقق لهم ما يبغون لوطنهم من نصر ومجد

وقد قصصنا عليك فيما سبق مدى قوة الشعب البريطاني الروحية وعظم ثروته الخلقية؛ ووصفنا لك إيمان البريطانيين بوطنهم وحبهم له وإقبالهم على التضحية في سبيله

وعندي أن القوة الروحية هي العامل الرئيسي؛ ولكن ذلك لا يمنع من خطر القوة الثانية وهي القوة المادية، فإن الجندي الذي ينزل إلى ميدان القتال وهو أعزل من السلاح مصيره حتما إلى الدمار. وقد كفلت بريطانيا لنفسها القوة الثانية ويرجع الفضل في ذلك إلى أنها أولا وقبل كل شئ دولة صناعية؛ بل إنها أولى دول العالم الصناعية

ويحسن بي قبل أن أحدثك عن الصناعة في بريطانيا أن أحدثك عن أمر له خطره وله شأنه. ذلك أن العلماء يقسمون حياة الأمم والأطوار التي تمر بها إلى أربعة أدوار:

الدور الأول: وهو المرحلة التي يحترف فيها الإنسان القنص والرعي. وأظنك توافقني على أن هذه المرحلة مرحلة بدائية لا يتقدم فيها الإنسان ولا يرقى ولا يتحضر. وإن نظرة واحدة إلى حالة الزنوج في أواسط أفريقيا وإلى حالة البدو في الصحراء ستجعلك من غير شك تؤمن بصدق هذه النظرية، فإن الزنوج والبدو يعيشون هذه المعيشة منذ خلقوا، وسيبقون كذلك ما لم يضطروا اضطرارا إلى تغيير أساليب حياتهم

الدور الثاني: وهو المرحلة التي احترف فيها الإنسان الزراعة وقد كانت الزراعة أول خطوة في سبيل التقدم والتمدن، ذلك أن الإنسان عند ما اشتغل بالزراعة استقر في مكان وبدأ يعمل على تحسين حالته والنهوض بها، ومن هنا كانت الحضارة الأولى التي ظهرت في التاريخ حضارات زراعية قامت في مصر وفي العراق وفي الصين منذ آلاف السنين

الدور الثالث: وفي هذا الدور اشتغل الإنسان بالتجارة وتعتبر هذه المرحلة أرقى من المرحلة السابقة

وقد بدأ سكان بريطانيا حياتهم باحتراف الرعي والقنص ثم اشتغلوا بالزراعة، ولكن الزراعة لا تجود في بريطانيا ومن ثم اشتغل سكانها بالتجارة، وقد رأينا فيما سبق كيف أدى هذا إلى قيام الصراع بين إنجلترا وأسبانيا أولا ثم بين إنجلترا وفرنسا ثانيا، وكيف انتهى الأمر بانتصار إنجلترا وتكوينها الإمبراطورية عظيمة هي أعظم الإمبراطوريات التي شهدها التاريخ، ورأينا كذلك كيف أصبحت بريطانيا سيدة البحار وهي الآن تملك أقوى أسطول تجاري وحربي في العالم

ويطيب لي أن أذكر كذلك أن أهم عامل في قيام النزاع بين ألمانيا وإنجلترا منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أيامنا هذه كان سيطرة بريطانيا التجارية على أسواق العالم

الدور الرابع: وهو أعظم الأدوار شأنا وأبعدها شأوا وأكبرها أثرا وهو الدور الذي تشتغل فيه الأمة بالصناعة؛ وتعتبر الأمم الصناعية أرقى الدول وأعظمها شأنا.

وبريطانيا هي أولى دول العالم الصناعية ومن ثم كانت أعظم الدول شأنا وأكبرها أثرا في توجيه السياسة العالمية. ويطيب لي أن أنوه بأن التقدم الصناعي ثمرة من ثمار التقدم العلمي ومن ثم كان اهتمام بريطانيا بالبحث العلمي عظيما؛ فهي تتيح لصفوة علمائها كافة الوسائل لينقطعوا للبحث العلمي

ولعلك أيها الصديق الكريم تسألني عن العوامل التي أدت إلى قيام الصناعة في بريطانيا وكيف وصلت بريطانيا إلى مكانتها الصناعية الحالية. وأنا أجيبك بأن الصناعة الحديثة تحتاج إلى الآلات أولا، وإلى قوة تحركها ثانيا، وإلى المادة الخام ثالثا، وإلى اليد العاملة رابعا. وقد توفرت هذه العوامل جميعا لدى البريطانيين.

فبلادهم غنية بالحديد ومنه تصنع الآلات ، وهى كذلك غنية بالفحم والكهرباء وبها تسير الآلات . أما المواد الخام والأيدى العاملة فهى موفورة ميسورة

ويجدر بى أن أذكر أن الحديد دائما ينتقل إلى مناطق الفحم ومن ثم تركزت الصناعة حول مناطق الفحم ، ذلك أن الآلات تستهلك الفحم دائما ، ومن ثم فلتوفير نفقات نقله تركزت الصناعة فى مناطق تعدينه ومنذ أكثر من نصف قرن استخدمت الكهرباء فى إدارة المصانع والآلات فاستغلت بريطانيا مساقط المياه بها فى توليدها، وبالتالى فى إدارة آلات مصانعها بها. أما عن المواد الخام فإنها موفورة ميسورة لبريطانيا ، ذلك أن بريطانيا تملك كما رأينا أكثر من ثلث اليابس فى الكرة الأرضية ولها بهذا أراضى شاسعة فى مختلف أنحاء العالم ، وهذه الممتلكات تمتاز بكثرة إنتاجها للمواد الخام للصناعة، فمثلا تستورد القطن من الهند ومصر والسودان وكنيا وغيرها ؛ والصوف من أستراليا ، والمطاط من المناطق الاستوائية بأفريقيا ومن جزر الهند الشرقية الخ

ومما يساعد بريطانيا سهولة اتصالها بمختلف أنحاء العالم ، فلها أسطول تجارى كبير هو أكبر أساطيل العالم طرا ، بل أكثر من هذا أن بريطانيا قد عنيت تمام العناية بالمواصلات فى داخلها ، فاستغلت أنهارها وقنواتها للملاحة ، وعبدت الطرق الزراعية ، ومدت السكك الحديدية مما جعل المواصلات بها سهلة ميسورة مريحة : مائية وبرية وجوية

هذه العوامل مجتمعة هى التى أدت إلى قيام الصناعة فى بريطانيا ، وأنا أحب أن أضرب للقارئ مثلا يبين فوائد الصناعة من الجهة المادية : فقنطار القطن يباع فى مصر بعشرين جنيها ثم ينتقل إلى إنجلترا حيث يغزل وينسج ويرد ثانية إلى مصر ليباع بها ، ووزن القنطار مائة رطل ، ووزن المتر من النسيج أوقيتان تقريبا ، فيكون وزن الرطل يعادل خمسة أمتار تقريبا ، وإذا افترضنا المتر ثمنا ٢٠ قرشا يكون ثمن الرطل من النسيج مائة قرش ويكون ثمن القنطار مائة جنيه ، وبذا يكون الربح فى قنطار واحد ثمانين جنيها

وتمتاز الصناعة فى بريطانيا بتخصص كل منطقة صناعية فى صناعات معينة : فتقوم صناعة القطن فى منطقة لنكشير وأعظم مراكز غزله ونسجه مدينة مانشستر ، وأكبر موانى تصديره ليفربول . وتقوم صناعة الصوف فى يوركشير وأعظم مراكز غزله ونسجه مدينة ليدز . وتقوم صناعة الأسلحة والآلات القاطعة فى وسط إنجلترا وأهم مراكزها شفلد وبرمنجهام . أما صناعة بناء السفن فأهم مراكزها جلاسجو ونيوكاسل وبورتسموث وبليموث وبلفاست

وأما لندن فهى عاصمة بريطانيا العظمى والإمبراطورية البريطانية . وقديما كان الرومان يقولون « كل الطرق تؤدى إلى روما » لأنها كانت العاصمة للامبراطورية الرومانية ، وفى العصور الوسطى كانت بغداد أكبر مدن العالم لأنها كانت عاصمة الإمبراطورية الإسلامية ، وأما فى عصرنا الحاضر فإن لندن هى أكبر مدن العالم ، ونظرة واحدة إلى خريطة تبين الخطوط الملاحية للأساطيل التجارية تريك أنها جميعا تتجه إلى لندن ! !

وأخيرا :

إن بريطانيا تتحكم فى العالم بقوة إنتاجها الصناعى . ومن المفارقات أن مصر قد عقدت معها معاهدة ١٩٣١ ، وفى هذه المعاهدة تعهدت بريطانيا بإمداد مصر بما يحتاج إليه جيشها من أسلحة وذخائر . ولكن كلما طلبت مصر من بريطانيا أن تفى بوعدها راوغت ، وثار نوابها فى مجلس العموم لأنهم يزعمون أن مصر قد تستخدم هذه الأسلحة ضد بريطانيا ذاتها . وها نحن أولاء فى مركز لا نحسد عليه فقد قيدتنا بريطانيا بالمعاهدة ثم تركتنا لا نستطيع حراكا ، بل إنها أثناء حرب فلسطين ١٩٤٩ منعت عنا السلاح مما كان له أسوأ الأثر ، وما أصدق قول شاعر النيل حافظ بك إبراهيم :

لا تقرب التامز واحذر ورده ... مهما بدا لك أنه معسول

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

١ — من أوباء الحجاز

عبد العزيز الزمزمي

٩٠٠ — ٩٧٦ هـ

للأستاذ عبد الله عبد الجبار

إن كنت ؛ أيها القارئ الكريم – من أهل مكة المكرمة ، أو لم تكن من أهلها وقد أتيح لك أن تستمتع بتلك اللحظة الروحية ؛ لحظة الغروب بالمسجد الحرام وقد أخذت مكانك خلف بئر زمزم انتظاراً لأداء فريضة المغرب ، فلا ريب أنك قد شهدت في (منظرة) مقام الشافعي رجلا مرتديا جبة بيضاء أو سوداء أو بين هذين من الألوان قد لاث عمامته على رأسه في رفق ، وأخرج من جيبه ساعته العتيقة مدلاة من شريط أسود ثم نظر فيها ثم رفع رأسه إلى أعلى قليلا ، بعد أن وضع يده اليمنى على خده وصدغه ، وإبهامه على صماخ أذنه ، ثم ارتفع صوته بالأذان صوب السماء بتلك النغمة التقليدية: الله أكبر الله أكبر — وهو يميل لفظ الجلالة إمالة طويلة ويخطف لفظ أكبر خطفة سريعة : يكررها هكذا أربع مرات، ولا يكاد صوته ينطلق حتى تتجاوب المآذن بنداء السماء ، وحتى تنطلق أفواه المصلين وقلوبهم وأرواحهم بترجيع النداء

هذا الرجل — أيها القارئ الكريم — هو أحد أفراد أسرة (الريس) التي اختصت بأن يكون لها شرف (رئاسة المؤذنين) في المسجد الحرام . ومن هنا كانت تسميتها (بالريس) بعد أن كانت تسمى في التاريخ بأسرة (الزمزمي) نسبة إلى بئر زمزم

وعن شخصية من شخصيات هذه الأسرة سيكون بحثنا هذا ، فتعال معي إذن نعبر جسر الزمن لنطل على تاريخ هذه الأسرة بمكة في القرن الثامن الهجري :

هذه الأسرة تنتمي إلى علي بن محمد بن داود البيضاوي الشيرازي الأصل : وقد قدم علي بن محمد هذا إلى مكة في سنة ثلاثين وسبعمائة هجرية عام قدمها الفيل من العراق فباشر عن الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن في خدمة بئر زمزم . ولما آنس فيه الرشد والخير والكفاية آثره بخدمة هذه البئر متنازلا له عنها ، وزوجه بابنته فولد له منها ولده أحمد وغيره من إخوته ، وأصبح في عقبه أمر البئر ومعها سقاية العباس رضي الله عنه . بعد ذلك تعال معي ننحدر مع الزمن لنشرف على القرن التاسع الهجري وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة حيث نشهد ميلاد عبد العزيز الزمزمي وهو موضوع هذا البحث ؛ ففي سنة تسعمائة هجرية كان ميلاد هذا العالم الأديب بمكة ، وكانت بواكير طفولته في بواكير القرن العاشر الهجري ، وغير حياته الطويلة الحافلة بالتدريس والإفتاء والصلاح والتقوى والرحلات المختلفة إلى مصر والشام والمدينة واليمن وبلاد الروم حتى وافاه الأجل المحتوم وهو في السادسة والسبعين من عمره ، وتوفي بأم القرى . ويمضي نسبه على النحو الآتي :

عبد العزيز عز الدين بن علي بن عبد العزيز بن عبد السلام ابن موسى بن أبي بكر بن أكبر بن أحمد بن علي بن محمد بن داود البيضاوي

ثقافته وكتبه : وقد أخذ العلم عن كبار المحققين وجد واجتهد حتى ذاع صيته وبز أقرانه ، وأفاد كثيرا من العلم والتجارب من أسفاره المتعددة ، وكان شافعي المذهب ، وقد ارتحل إلى مصر في ريعان شبابه يطلب العلم على أيدي علمائها الأجلاء .. ومن مشايخه أحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي الذي مدحه بقصيدة مطلعها :

أريج مسك الأسحار   فاح خلال الأزهار

وقد تفتقت عقلية الزمزمي حسب إمكانيات عصره وكما سمحت له ظروف حياته عن مؤلفات شعرية نثرية منها

١ — الفتح المبين في مدح شفيع المذنبين

٢ — فيض الوجود في شيبتي هود

٣ — شرح على مقامات الحريري

٤ — (نظم علم التفسير) وهو منظومة لطيفة كان الطلاب ولا يزالون يحفظونها بمدرسة الفلاح بمكة ، ولها شرح للشيخ منصور سبط الطبلاوي سماه : (منهج التيسير إلى علم التفسير)

وللسيد محسن بن السيد على المساوى المكى شرح لها سماه (نهج التيسير على نظم أصول التفسير) طبع فى سنة ١٣٥٢ ؛ وللسيد علوى مالكى العالم المكى المشهور فى العصر الحاضر حاشية على الشرح المذكور سماها (فيض القدير) وللشيخ يحيى أمان العالم المدقق والأصولى البارع بمكة شرح سماه (التيسير على منظومة علم التفسير) . وما زال الزمزمى يترقى فى مناصب العلم حتى أصبح عميدا لعلماء مكة فى ذلك الزمان . وقد ذكر القطبى فى تاريخه المرتب على السنين : « أنه فى السادس عشر من المحرم سنة ٩٧٦ قد وجه إلى الشيخ عبد العزيز الزمزمى تدريس المدرسة السليمانية بخمسين عثمانيا ، وكان رئيس علماء مكة يومئذ . » وقد مدحه منوها بعلمه أبو الفيض الصديق من قصيدة جاء فيها :

أجل جيران بيت الله قاطبة ... علما إذا وصفوا فى مكة العلما

شعره : وللزمزمى ديوان شعر منه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية ، وقد كانت من نسخها لى . وتقع نسخته فى ست وسبعين ومائة صفحة من الحجم المتوسط . ويشتمل هذا الديوان على ثلاثة أبواب وخاتمة

الباب الأول : (النبويات) وهى القصائد التى مدح بها النبى (ص) وقد رتبها حسب الحروف الهجائية ونظم مدائحه النبوية من أغلب حروف المعجم ، وترك الحروف الآتية : الثاء . والخاء . والذال . والشين . والصاد . والضاد . والطاء . والظاء . والعين . والغين . والواو : وقد استغرقت النبويات (١٠٩) صفحة من نسختى . وربما أدخل فى هذا الباب قصائد ليست منه كقصيدته فى مدح ابن عباس ؛ وقصيدته حين زار مدينة عدن : وقد عارض الهمزية والبردة وجعل قافية الأخيرة مفتوحة ، ويمضى مطلعها على هذا النحو :

أمن تذكر جرم جرمه عظما ... أرقت فى الخد دمعا أم هرقت دما
أم البكاء لما أهملت جانبه ... من طاعة قد بكت أرض لها وسما
فوت خطة رشد كنت مدركها ... فصرت تقرع سنا بعدها ندما

الباب الثانى : مدح العلماء والصالحين وممن مدحهم الإمام الشافعى والشيخ ابن عربى ومحمد بن عراق

الباب الثالث : فى ذكر الكعبة المشرفة ومكة والحرم والحجاز والمشاعر المنيفة ، ويبدأ فى نسختى من ص (١٦٥)

ولا نجد فى هذا الباب إلا قصيدة واحدة طويلة نسبيا ذكر فيها المنازل من مخا إلى زبيد إلى مكة ، وذكر فيها الكعبة المشرفة ، وقد نظمها فى سيره من اليمن مع ركب الحج اليمانى :

الخاتمة : وفيها نظم خمسة أحاديث نبوية وإليك مثالا منها :

وصالك جنتى ونعيم جسمى ... وقربك صحتى وجفاك سقمى
علام هجرتنى هجرا عنيفا ... بليغا زائدا من غير جرم
فلا وصل ولا مكذوب وعد ... ولا رؤياك فى طيف ملم
لقد أفرطت فى ظلمى فهلا ... حفظت حديث ظلم دون ظلم

وقيمة هذا الديوان الصوفية أكبر من قيمته الفنية ، وهذه النزعة الروحية كثيرا ما كانت سمة من السمات التى طبعت الحياة العقلية لكثير من المفكرين والمنتجين فى هذه البلاد فى كثير من العصور

ويخيل إلى أن الزمزمى كان مشدودا برباط وثيق إلى عالم ما وراء الحياة . ففى رحلاته الكثيرة المتعددة لا يكاد يهبط بلدا من البلدان حتى يكون من أول ما يقوم به زيارة هذا الضريح أو ذاك لالتماس البركة من هذا الولى أو ذاك ، ونظم ذلك كله شعرا صوفيا يرتاح له ضميره

وكان لا تلم به كارثة من الكوارث أو تحدق به أزمة من الأزمات حتى يشد رحاله إلى المسجد النبوى ينشد الفرجة من مقام النبوة المعظم

وربما كانت فرقته للحجاز على كره منه ، فهو يصرح بذلك فى شعره ، ويشكو إلى الله حالته الكئيبة الحزينة ، وبعده عن عياله وأوطانه وعن المشاعر المقدسة ومعاهد الطهر والإيمان ، ويستعرض أمام عينيه أيامه التى سلفت . فما أكثر ما ظل عاكفا بالمسجد الحرام يصلى حينا ويدرس حينا ويقرأ القرآن حينا ، وما أكثر ما وقف بعرفات ، فلقد حج أكثر من خمسين حجة فهل يتاح له الوقوف بها مرة أخرى ، وهل تناخ له بمنى ، التى وهل يبصر نفسه بين أهله وذويه ، ورهطه وصحبه ، وقومه وإخوانه ؟ إنه يسجل كل ذلك فى شعره إذ يقول :

إلى الله أشكو من تباريح أحزانى ... وبينى وبعدى عن عيالى وأوطانى
بحكم زمان ظالم جار واعتدى ... على وعن قصدى عدانى وعادانى
ترى هل ترى أم القرى عين نازح ... بجثمانه والقلب منه لها دانى

أعد لى حديثا عن مشاعرها وعن … معاهدها دامت معاهد إيمان

وعن حرم الله الأمين ومسجد … حرام وبيت ضم أشرف أركان

فيا طالما فى ظله ظلت عاكفا … لتدريس علم أو صلاة وقرآن

ومن عرفات لست أنكر موقفا … تعرفته من قبل إبان عرفان

وقفت به نيفا وخمسين حجة … فكيف فى يجرى له ذكر نسيان

ألا ليت شعرى بعد فرقة جمعنا … بليلة جمع عائد عيشنا الهانى

وهل يجنى يوما تتاح لنا منى … إليها جار الشوق أضرم من نيرانى

وأبصر نفسى بين أهلى وأسرتى

ورهطى وأصحابى وقومى وإخوانى

وللزمزمى قصيدة نظمها فى سيره من اليمن إلى الحجاز مع ركب الحج اليمنى ذكر فيها المنازل من المخا إلى زبيد إلى مكة المكرمة . وقد بدأ نظمها (بدوزة) يوم الخميس ١٨ من ذى القعدة وأتمها بالليث يوم الأحد غرة ذى الحجة الحرام سنة ٩٥٨ هـ ، وهذه القصيدة تعتبر (خريطة شعرية) تبين لنا خط سير قاصد الحج من اليمن إلى مكة فى القرن العاشر الهجرى ، وفى مطلعها يقول :

ظعنا فنودينا عن الشر غبتموا … وجئنا فقال الخير جئتم وجيتمو

وما كان ذاك البعد إلا دجنة … جلاها اقتراب صبحه متبسم

نعمنا به من بعد بؤس أصابنا … فأذهب ذاك البؤس هذا التنعم

وأن الثوى فى أرض مكة جنة … وكل دنو من سناها جهنم

فوالله ما فارقتها عن كراهة … ولا لأمور جمة نتوهم

ولكن مقادير بها حكم القضا … وليس على حكم القضاء تحكم

رحلنا مطايانا إليها نؤمها … فياحبذا منها إليها التيمم

وبعد أن يذكر كيف مضت بهم المطايا من المخا إلى الزهارى وكيف أقاموا بزبيد ليالى ، وكيف راحت العيس وحاديها شوق ملح لقرية المنصور والقاعية يقول :

ومرت إلى (مور) ومنها تشاءمت … إلى (قطبة) والأفق بالليل مظلم

ومذ قصدت (جازان) جاز اقتصارها

فأضحت وحاديها عليها مخيم

وبعد أن يذكر عالية وأبا عريش التى كان مقامهم بها ثلاثة أيام يقول :

ومنها إلى صبيا بنا العزم قد صبا … وكان لنا فى (بيش) شأن ملثم

وبعد أن يذكر وادى بيش وعتود ينجل كيف بدت لهم فى الشقيق وجوه توسموا فيها عصيان السلاطين :

ولما دخلنا فى (الشقيق) بدت لنا … وجوه بعصيان السلاطين توسم

ومنها انصرفنا للغدير الذى على … (عريب) بواديه الزبالع أقدموا

ومنه مسير الركب نحو منزل … عادى به والعيس للورد حوم

فرت إلى (ذهبان) ذاهبة وقد … حلا عندها الماء الذى منه ينجم

وبعد أن يمضى قليلا يأسى للعيس كيف كانت تئن من العجز وكيف دقت بكلكلها الثرى فى (دوقة) وكيف أثابت بعد أن أقامت بها يومين ، وكيف جازت مسيل الواديين ولم تقف به والليل أسود حالك ؛ وأغامضت فى سراها سواد الليل وطرفا من النهار. حتى إذا اعتلت الشمس صاروا إلى (ذكوان) وكان لهم فيه مقيل غير محمود ؛ فقد بلغ الإعياء بهم مبلغا عظيما . وكانت الشقة بعيدة ، وكان الماء علقما والتمسوا (المجور) فلم يجدوه . . ثم ساروا حتى إذا وصلوا (الليث) لم يطيلوا المكث به ، بل راحوا (للهضب) حتى إذا صاحت حداة الركب : (هذى يلملم) ألمت بهم الأفراح واهتزت نفوسهم طربا وأناخوا ركابهم ونزلوا واغتسلوا وصلوا ولبوا وأحرموا وكان للركب ضجيج ، وكانت عيونهم تذرى الدمع فرحا ، ولم يمكثوا هناك إلا بمقدار ما أدوا به شعار النسك ، واستهلوا بلبيك اللهم لبيك ، ومن ثم يمموا نحو البيت الحرام وهم يجهشون بالبكاء :

وفى (دوقة) دقت بكلكلها الثرى … وقامت على عجز تئن وترزم

ولكنها من بعد يومى إقامة … أثابت فسارت وهى للركب تقدم

وجازت مسيل الواديين ولم تقف … به والدجى بين المسيلين مقتم

وسارت إلى (ذكوان) حين ذكا اعتلت

وكان لها فيه مقيل مذمم

هزال وإعياء إلى بعد شقة … وقد عدم المجور والماء علقم

وما طولت مذ جاءت (الليث) لبثها

(وللهضب) راحت والحداة تترجم

ألمت بنا الأفراح لما تباشرت

وصاحت حداة الركب هذى (يلملم)

أنيخوا المطايا وانزلوا وتغسلوا … وصلوا ولبوا خاشعين وأحرموا

فكم ضجة للركب ثم وجولة … وكم مقلة تذرى الدموع وتسجم

القوة المادية والايمان بالمثل العليا

للدكتور محمد يوسف الهندي

لئن سجل تاريخ القرن الماضي انقضاضا من الأمم الغربية المتفوقة في العدة على الشعوب الشرقية الكثيرة العدد؛ فقد شاهد الجيل الحاضر تنافسا بين الدول الغربية — تنافسا قد أدى إلى صراعين عالميين. وها هو ذا شبح الحرب الثالثة يلوح في الأفق، ويقض مضاجع الإنسانية جمعاء، لا فرق في ذلك بين الذين «لم يبقوا ملء محجم» وبين الذين «دقوا بينهم عطر منشم»

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى اتجهت نية الأقوياء المنتصرين إلى إنشاء نظام يكفل للعالم السلام والهدوء على ما قالوا، ولكن هذا النظام لم يكن في الواقع يكفل شيئا غير الأوضاع القائمة إذ ذاك لصالح الذين كانوا يرون من حقهم احتكار السيادة على العالم، ولذلك انهار ذلك النظام على أيدي من رأى أن ينازعهم هذا الحق بالقوة (وقد أعيدت التجربة نفسها مع إدخال بعض التحسينات بعد الحرب الأخيرة)

وقد صادف هذا الاتجاه — أعني اتجاه الأقوياء إلى إبعاد إمكان الحرب فيما بينهم — نضج الوعي القوى في الشعوب الأسيوية والأفريقية المستعمرة، فبدأ مفكروها وقادتها يبحثون عن الوسائل التي يمكن بها لتلك الشعوب التخلص من نير الاستعمار واسترداد السيادة لأنفسهم على بلادهم، وقد واجه جميعهم مشكلة قهر القوة الغاشمة لتحقيق الحق الأعزل، وإنها لدراسة ممتعة جدا أن يعقد الواحد مقارنة بين الأجوبة التي أتى بها زعماء الشرق الحديث في الأقطار المختلفة على هذا السؤال، وخلاصة القول أن عددا غير قليل من الذين كانت زعامتهم ترتكز على مقدرتهم لاستثارة الجمهور فقط تجنبوا رسم خطة محدودة في هذا الصدد؛ بل إنما استتروا بخطب بلاغية وتصريحات جدلية هي عبارة عن التمسك بالحق والعدالة والتهديد بالإضرار ببعض مصالح المستعمر هنا وهناك. أما الذين سما فكرهم إلى درجة الفلسفة وتنظيم خطة عامة بعيدة المدى فانقسموا قسمين: بعضهم انتهج نهج الاستهانة بقوة السلاح وتعيير القوي باستعمال القوة والعنف، حينما ذهب البعض الآخر إلى مقاومة القوة بالقوة آملين بأن كثرة العدد ربما تفوق وفرة العدة. وقد جرب كثير من الشعوب الشرقية الخطة الأخيرة ولا سيما في بداية عهد الاستعمار فرأت عواقبها وخيمة، ولذلك أقبلت على الخطة الأولى فدرستها بإعجاب وإن لم تقبلها كبدإ للحياة القومية

ولنستعرض الآن آراء إقبال، الفيلسوف الشاعر الذي احتفل منذ قريب بالذكرى الثالثة عشرة لوفاته، في المسائل التي قدمناها آنفا. لا يفوت إقبالا أبدا أن يحذر من الاستخفاف بالقوة أو إهمال أية وسيلة من وسائل الحصول عليها، فهو لا يتأثر مطلقا مما يوجهه بعض الناس إلى الإسلام من نقد بناء على روح الجهاد فيه. بل يقول:

«إن الذي يرتجف العالم من بطشه وسفكه هو أولى بأن يلقن مبدأ ترك الجهاد . . . لقد تدججت أوربا بالسلاح للدفاع عن أبهة الباطل . . . إذا كانت الحرب شرا في الشرق فهي لا بد وأن تكون شرا في الغرب أيضاً . . . أما محاسبة الإسلام والصفح عن أوربا فذلك ليس من الحق في شيء»

وكذلك يسخر إقبال من خطة تعيير القوة بالقوة حينما يقص علينا قصة قطيع من الغنم وقع فيه الأسد؛ فتقدمت شاة كانت قد أوتيت دهاء لتزعم القطيع، فاقتنعت في نفسها بأنه من المستحيل أن تتحول الأغنام أسودا إلا أنه يمكن أن ينحط الأسد إلى درجة الأغنام، وذلك بحمله على الاستحياء من نفسه وقوته، فبدأت تلك

وما مكثوا إلا بمقدار ما أتوا بهم من شعار النسك ثمت أحرموا
بلبيك لبيك استهلوا وأجهشوا ومن ثم للبيت الحرام تيمموا

ثم بدت لهم معالم مكة:

وصرح بالأمر الحداة وبشروا وغنوهمو هذا المقام وزمزم
وذا بيت رب العرش ما دونه سوى ستور عليه بالجلالة ترقم
فألقت عصاها واستقر بها النوى وقر عيونا باللقاء المتيم

البحث بقية

عبد الله عبد الجبار
مدير البعثة السعودية بمصر

الشاة تلقن الأسد مبدأ الاعتزاز بقوة الروح وترك اللحوم وأكل العشب والإيمان بأن الجنة قد خصصت للضعفاء ، وأن القوة فى الحقيقة نقصان . وهكذا إلى أن وجد الأسد فى هذه المواعظ انعكاساً لميله هو إلى الراحة والدعة، فانحط إلى درجة الأغنام وهو يحسب أن ذلك الانحطاط إن هو إلا مدنية وحضارة !

فهذه الخطة فى رأى إقبال ليست إلا رياء ودهاء — الدهاء الذى « يزداد وينمو بطبيعة الحال فى العبودية والاضطهاد » — ولا يستعمل هذه الخطة إلا الضعيف الذى يئس من كسب القوة؛ وهو إنما يغرر ويضلل بها قويا قد مال إلى الاستكانة

ولكن دعوة إقبال لا تقتصر على « إعداد القوة » — ولا أقول « تمجيد القوة » كما فعل بعض الفلاسفة الألمان — بل ، وهذه هى النقطة المهمة ، هو يدعو أيضا إلى البحث عن القيم الأخلاقية والمثل العليا فى الحياة الإنسانية والإيمان بها والعمل لها، حتى لا يكون استعمال القوة إلا لحفظ ونشر تلك القيم والمثل التى تكفل الخير للعالم ! أما إذا وجدت القوة منفصلة عن القيم الأخلاقية والمثل العليا فلا شك أنها تعود شرا لا شر بعده كما يتمثل ذلك الشر فى أعمال الإسكندر وجنكيز. إذن فالقوة فى حد ذاتها ليست شرا ولا خيرا ، بل إنما يحكم عليها بهذا أو بذاك بالنسبة إلى وجود الغايات النبيلة أو انعدامها فيمن يملكها . ومن الضرورى فى هذا المقام أن نوضح أن إقبالا لا يدعو إلى التهور أو الثورة المرتجلة التى لا تتعدى الإضراب عن العمل وتحطيم عربات الترام وما إلى ذلك من أعمال الهدم والتخريب ، لا ؛ بل هو يدعو إلى إعداد القوة بالطرق العلمية والفنية — « بالتسلط على قوى الفطرة » بعبارته هو — أى بنفس الطرق التى هى الميزة الكبرى للحياة الغربية والتى هى أوثق صلة بنبوغ الغربيين من الزى الغربى والحروف اللاطينية واستباحة الرقص والخمر . ولا يخفى أن هذا الطريق الذى يدعو إليه إقبال إنما هو طريق شاق طويل يحتاج إلى التأنى والصبر والجلد ، ولذلك نراه ينبرى فى أشد الأوقات حرجا فلا يبالى بأن يتهمه أحد بموالاة المستعمر وينصح مواطنيه « بإبقاء الطرب على فم الدن حتى يدرك الخمر النضج » أى بالتريث ومواصلة العمل إلى أن يستكملوا العدة . وخلاصة القول أنه كان يدعو إلى إعداد القوة التى تكفل الإنشاء والتعمير وخلق الأوضاع الجديدة ، لا إلى مظاهرة قوة التخريب وإلحاق بعض المتاعب بالمستعمر التى هى بمثابة ما تلجأ إليه المرأة الناشز من زوجها فى بعض الأحيان ليس إلا

ولا يصعب أن نستنتج مما سبق نظرة إقبال إلى المحاولات التى بذلت ولا تزال تبذل لتنظيم الأمن الدولى، فهو الذى قال عن عصبة الأمم البائدة إنها « منظمة أقامها بعض لصوص الأكفان لتقسيم القبور فيما بينهم » وقال عنها أيضا إنها « حظية الأفرنج العجوز تعتمد على تمائم إبليس لبقائها لبعض الوقت » — ونظرة إقبال هذه مبنية على أنه لا يرتاح أبدا إلى القوة، سواء أكانت تلك القوة قائمة على السيف والرمح أم القنبلة الذرية ، فى يد من ليس عنده رادع من الإيمان بالقيم الأخلاقية والمثل العليا . وهو أيضا يرى أن لا خير يرجى للانسانية من أية محاولة للتحديد والإشراف على وسائل القوة ، لأن الذى يضمر الخبث يمكر بصفو الأمن ولو بدون أى سلاح ، بل الخير كل الخير فى ان تجتمع القوة المادية والإيمان بالمثل العليا فى أمة أو أمم من العالم حتى تنزجر القوة من تلقاء نفسها عن التمادى فى الطغيان ، وفى الوقت نفسه تكون تلك القوة ضمانا لنشر وتقوية المثل العليا فى العالم، وحفظها من أن تنتهك على يد أى طاغية أثيم

ثم يعبر إقبال عن رأيه الذى وصل إليه لا عن طريق التعصب للعقيدة التى ورثها عن أبيه؛ بل عن طريق البحث العلمى والفكر الفلسفى، من أن الأمة الإسلامية هى التى تمتاز من بين جميع الأمم بالقيم الأخلاقية والمثل العليا التى تجعلها جديرة بأن تتزعم قضية الأمن والسلام فى العالم. إلا أنها فى الوقت الحاضر تفتقر إلى القوة وذلك نتيجة لإهمالها الوسائل العلمية والفنية التى توجد القوة . وكم يتمنى إقبال لو اجتمع للأمة الإسلامية ، إلى جانب المثل العليا ، القوة التى تسندها وتؤازرها حتى تتمكن هذه الأمة من أن تلعب دورا فعالا لرخاء الإنسانية ورفاهيتها . وكثيرا ما يردد إقبال وقعة إسلام التتار ، فإن التتار ، قبل أن يسلموا ، كانوا يمثلون القوة المحضة، أما المسلمون فقد ظلوا إبان انهزامهم حفظة للقيم الأخلاقية العزلاء من القوة حتى أسلم التتار ، فكان ذلك بمثابة قران سعيد بين القوة والمثل العليا ، كأن الإسلام استبدل سيفا جديدا صارما بسيف مفلول ، وهكذا ا تمرت عظمته بضمة

عاصمة السودان الوطنية

أم درمان

للأستاذ علي العماري

لعل الشرقيين أزهد الشعوب في معرفة بلادهم ، فالحديث عنها ليس بالعذب المستساغ عند أكثرهم ، وربما بقي الواحد من مثقفيهم الدهر الطويل في مدينة من المدن دون أن يعرف كثيرا أو قليلا عن تاريخها ومعالمها . وقد يقرأ في كل كتاب إلا الكتاب الذي يتحدث عن البلدان وتاريخها ، وعما فيها من آثار قديمة أو منشآت حديثة . ولا أنس أبداً أني كنت مسافرا مرة في القطار الذي يبرح القاهرة إلى أسوان ، وكان بجانبي رجل في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، ويبدو من هيئة حديثه أنه من ذوي الثراء ، وتشعب بنا الحديث فنونا حتى وصل القطار إلى مدينة المنيا عروس الصعيد ، فأطل الرجل من النافذة ثم عاد وفي وجهه آثار الدهشة والاستغراب وقال بلهجة المأخوذ : غريبة ! إن في هذا البلد شوارع منظمة وأبنية جميلة ! قلت له : أمصري أنت ؟ قال : نعم . قلت أين تعيش ؟ قال : في الإسكندرية ، قلت : أظنك تعرف روما وباريس ولندن معرفة دقيقة . قال نعم ، قلت : أما سافرت أبدا إلى الصعيد ؟ قال : لا ، والفكرة التي في ذهني عنها تختلف كل الاختلاف عما أراه الآن . قلت : ماهذا ، لست مصريا وإن كان اسمك رمسيس الأول !!

كما لا أنس أني لقيت رجلا مثقفا قضى في مدينة أم درمان أكثر من أربع سنوات ، وهو يسكن في الجانب الغربي منها جد قريب من دار المعهد العلمي ، وقد جرى مرة بيننا حديث في شؤون المعهد فسألني أين تقع دار هذا المعهد ؟

وفي يقيني أن هذا الجهل يرجع إلى ضعف الشعور القوي في النفوس ، فإنه كلما قوي هـذا الشعور أحس صاحبه أن كل شبر من أرض الوطن إنما هو ملكه ، حتم عليه أن يعرفه ، وأن يعرف تاريخه ، وطبعي أني لا أقصد أن كل المثقفين يجهلون معالم أوطانهم ، وإنما أعني أن الجمهرة الغالبة لا تعنى بهذه الناحية العناية الواجبة ، وقد حملني على كتابة هـذا المقال ما لمسته في كثير من المتعلمين عندنا من جهل بشؤون المدن السودانية .

* * *

ينساب النيل الأبيض منحدرا من المنطقة الاستوائية ، ويجري النيل الأزرق هابطا من مرتفعات الحبشة ، ويمران بمدينة الخرطوم ، أحدهما على جانبها الغربي ، والآخر على جانبها الشرقي ، وما يكادان يصلان إلى نهايتها الغربية البحرية حتى يلتقيا ، ثم يسيران متناكرين مسافة قصيرة ، ويستطيع النظر

قرون أخرى

ولكن على الأمة الإسلامية واجبا آخر وهو التعمق في دراسة المبادئ الإسلامية والتشبث بها والإخلاص لها ريثما تتقدم بخطى ثابتة لاستكمال القوة ، وذلك لأن الضعيف ربما يفقد الثقة في نفسه وفي مبادئه . وهل من شك في أن الأمة الإسلامية إن هي تخلت عن مبادئها لحصولها على القوة سوف لا يكون ذا مغزى كبير . ولعل من مظاهر هذا التخلي عن المبادئ السامية تخاذل الشعوب الإسلامية لأعراض تافهة خسيسة ، واعتبارات دبلوماسية مغرضة . ألا فلتسترد هـذه الأمة الثقة بنفسها والإيمان بمبادئها حتى تثبت جدارتها لمزاولة القوة في سبيل خير الإنسانية

وأخيرا تتلخص مأساة « إنسان العصر الحاضر » عند إقبال في قوله :

العشق ينقصه والعقل ينهشه
لا يستطيع قياد العقل بالنظر
دور الكواكب لا يخفى على درك
لا يستطيع هدى في عالم الفكر

العشق هو الإيمان بالمبادئ العليا . والعقل هو التقدم في العلوم والفنون . والنظر هو الشعور بالمسئولية أمام الله

محمد يوسف

السطحى أن يميز بينهما حيث يفصلهما خيط دقيق ؛ ولكن هذا التناكر لا يستمر طويلا فيختلطان ، ويسيران ممتزجين ، وتقع الخرطوم بينهما ، وتقع الخرطوم بحرى على جانب النيل الأزرق الشرق ، أما أم درمان فتقع على الضفة الغربية للنيل الكبير ، وقبيل التقاء النيلين تقوم حدائق جميلة تسمى حدائق « المقرن » وهى من أحسن الأمكنة وأطيبها هواء ، وفيها يقول الأستاذ العقاد :

تفسير حلمى بالجزيرة وقفتى بالمقرن
حلمان حظهما خيالا دون حظ الأعين
ما دمت بينهما فما أنا سائل عن مسكنى

ويعجبنى قول أحد الكتاب السودانيين يصف التقاء النيلين عند المقرن ، إذ يقول : (هل استمتعت بذياك المرأى الطبيعى البديع الساحر ؛ مرأى ملتقى النيلين الحبيبين ، لقد أتى أحدهما ينساب من أقصى الجنوب ، والآخر ينحدر من أقصى الشرق ، فالتقيا منذ الأزل فى هذا المكان ، بعد هاتيك الرحلة الطويلة ، فأصبح هذا المكان مكان التقائهما علما مقرونا باسميهما ، أنهما قد التقيا عند هذا المكان ، واقترنا فى شوق ، بل تصافحا بجسميهما ، أنهما لم يفكرا فى الفكاك من هذا الاقتران ولم يفكرا

ولما التقينا قرب الشوق جهده حبيبين فاضا لوعة وعتابا
كأن حبيبا فى خلال حبيبه تسرب أثناء العناق وغابا

ولشد ما أعجبنى تمثل الكاتب بهذين البيتين فى هذا الموضع

ويصل بين الخرطوم وأم درمان جسر جميل ، أقيم سنة ١٩٢٨.

أما مدينة أم درمان فهى مدينة كبيرة مبانيها فسيحة ، وشوارعها متسعة . وأول من عمر أم درمان الشمالية حكومة المهدية ، أما جنوبها فكان حلة صغيرة قائمة فى سهل فسيح رملى لا شجر فيه ، وكان يسكن هذه الحلة الأهلون من (الفتيحاب) وهم سكان الخرطوم الأصليون كذلك ، وكانت لهم منازل متفرقة على شاطئ النيل الأبيض الغربى ، والفتيحاب من قبائل الجموعية ، وهم وإخوانهم من الجيماب ، والسروراب ، والجمليين والميرفاب ، والرباطاب ، والشايقية ، ينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . وقد استولى المهدى على أم درمان سنة ١٨٨٥ م ولما جاء الخليفة التعايشى حبب الى الناس السكنى فيها ، فبنيت الدور ، واتسع عمرانها . وكل منازلها طبقة واحدة إلا النادر القليل ، وفيها مبان كثيرة بالحجر على النظام الحديث ، وقد كان سكان المدينة قبل المهدية ٤٠٠ ألف نسمة ، ثم تناقص هذا العدد إلى ٢٥ ألف فى سنة ١٩٠٣ ، أما عدد السكان – الآن حسب آخر إحصاء – فهو نحو ١٣٧ ألف نسمة

ويخترق أم درمان شارع طويل يسير فيه الترام يبتدئ من الجسر الفاصل بينها وبين الخرطوم ، وينتهى فى الجانب الشرقى منها حيث يسير قليلا على النيل. أما غربها وشمالها فصحراء لا نبت فيها ولا ماء . ويقع جبل كررى المشهور فى التاريخ شماليها ، والهابط منه إلى المدينة يأخذ فى شارع يسمى بهذا الاسم أيضاً

وفى أم درمان مدارس حكومية وأهلية ، وسطى ، وثانوية ، وأولية ، فيها مدارس الأحفاد ، وهى مدارس ذات فضل لا ينكر على السودان ، والمدرسة الأهلية ، وفيها مدارس الراهبات للبنات وهى روضة وابتدائى وثانوى . وبهذه المناسبة أذكر أن السودانيين غير متحمسين كثيرا لتعليم البنت . وفى ظاهر أم درمان من الناحية الغربية يقوم بناء المعهد العلمى ، وهو معهد قام منذ أربعين سنة تقريباً ، وكانت الدراسة في مسجد أم درمان الكبير وانتقلت قريبا إلى هذه الدار الجديدة ، وفى المعهد الآن نظامان : نظام قديم ، ونظام جديد تشرف عليه الحكومة إشرافا كليا ، تضع له المناهج ، وتعين المدرسين ، والمعهد ابتدائى وثانوى وعالى ، ومنه يتخرج حاملو الشهادة العالمية على نظام الأزهر القديم ، وهم يؤدون الآن مهمتهم فى السودان بجدارة وإخلاص ، ويراد أن يكون فى المعهد – بعد الثانوى – كليات ، على نظام كليات الأزهر ، ولا تزال المعاهد فى الأقاليم ترتبط بهذا المعهد ارتباطا ما ، وفى هذا المعهد يقول الشاعر التيجانى يوسف بشير :

السحر فيك وفيك من أسبابه دعة المدل بعبقرى شبابه
قسم البقاء إليك فى أقداره من شاد مجدك فى قديم كتابه
وأفاض فيك من الهدى آياته ومن الهوى والسحر ملء نصابه
اليوم يدفعنى الحنين فأنثنى ولهان مضطربا إلى أعتابه
سبق الهوى عينى فى مضماره وجرى وأجفل خاطرى من بابه
ودفنت غض صباى تحت ظلاله ودفنت بعض سنى فى محرابه

ولقيت من عنت (الزبود) مشاكلا
وبكيت من (عمرو) ومن إعرابه

وطلاب المعهد يبلغون – الآن – نحو الستمائة طالب، أما مدرسوه فنحو الأربعين، منهم منتدبون من الأزهر الشريف وهم خمسة، ومنهم سودانيون متخرجون فى الأزهر، وبعضهم من خريجى كلية غردون أو المدارس الثانوية، وأكثرهم متخرجون فى المعهد ذاته، وشيخ المعهد الآن مفتى السودان السابق الشيخ أبو شامة عبد المحمود، وهو سودانى، وكل من سبقه فى مشيخة المعهد كان من السودانيين أيضا

وفى أم درمان أكثر دور الأحزاب السياسية، وهى من وهى من هذه الناحية تمتاز عن الخرطوم. كما تفد إليها السلع من كل أنحاء السودان، وفيها يمنيون كثيرون، وهنود، وشوام، ويونان، ومصريون، وكثير من التجارات فى أيدى هؤلاء.

وأهل أم درمان، كأهل السودان جميعاً، متدينون، يؤدون الصلوات فى أوقاتها، ويخرجون الزكاة، والأمن والأمانة متوفران عندهم

وفى أم درمان تقوم قبة المهدى، وفيها بعض آثاره ومخلفاته، وأمامها ساحة كبيرة محوطة بسور مرتفع مستطيل طوله ٤٦٠ ياردة، وعرضه ٣٥٠ ياردة، وفيها محطة الإذاعة السودانية، ومحطة الأرسال

وقد لفت نظرى وأنا أطالع فى دواوين الشعراء السودانيين أنى لم أجد لأم درمان موضعا فى أشعارهم، مع أنى وجدت قصائد فى مدن كثيرة من مدن السودان، فى الأبيض عروس الرمال، وفى النهود، وفى كسلا، وفى سنار حيث يقول شاعرهم:

زرت سنار والجوانح أسرى … زفرات هدت قوى الصبر هدا
أسعدتنا فيها الغداة دموع … لم تخنا بالأمس فى دار سعدى
إن محا الدهر حسنها فلقد كا … نت مراداً للمتقين وخلدا
كم لها فى الرقاب منا ديون … وعزيز على ألا تؤدى
وجميل لأهلها عند أهلى … ويد بالصنائع الغر تندى

وهى قصيدة تذكرنى بقصيدة البحترى فى إيوان كسرى، وسنار كانت عاصمة مملكة الفونج، وهى مملكة شهيرة فى التاريخ، وبعضهم ينسب هؤلاء إلى الغمر بن يزيد بن عبد الملك، هربوا إلى السودان حين أساء العباسيون معاملة الأمويين

والوقت الذى لا نجد فيه قصيدة واحدة فى دواوين الشعراء عن أم درمان؛ نجد قصيدة لأحد شعرائهم المشهورين فى باريس مع أنه لم يبرح السودان!

وقد أهدى إلىّ بعض الأصدقاء قصيدة فى أم درمان مخطوطة لأحد الشعراء، كما قرأت أغنية تذاع من محطة الإذاعة عن أم درمان وهى أغنية جميلة

(وبعد) فهذه لمحة تعرف، وفيها بعض الغناء.

على العمارى

شوقية لم تنشر فى الديوان ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

يسرنى أن أقدم لقراء الرسالة الغراء فى كافة أقطار العروبة هذه الخريدة العصماء لخالد الذكر المرحوم أحمد شوقى بك أمير شعراء الضاد بمناسبة قضايا مصر الأخيرة المتعلقة ببريطانيا، والتى نسج بردتها الشاعر فى ذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وعنونها بـ « جهاد مصر الوطنى » وقد عثرت عليها وأنا أنقب فى أوراق قديمة لى كنت أحتفظ بها ضمن مجموعة من المجلات العربية . وكانت هذه الرائعة منطوية بين دفتى مجلة « الزهراء » التى كان يصدرها فى القاهرة آنذاك الأستاذ محب الدين الخطيب، ويرجع تاريخ العدد من المجلة نفسها إلى سنة ١٩٢٦ م أو ١٣٤٥ هـ وقد راجعت الشوقيات بأجزائها الأربعة فلم أعثر عليها فعجبت كيف غفل أميرنا عن درجها فى الجزء الأول والثانى من شوقياته وقد طبعها فى حياته . وإذا كان المرحوم قد سها عنها فكيف غربت عن بال أنجاله عندما أعدوا الجزء الرابع من شوقياته للطبع ؟ هذا سؤال أود أن أوجهه إلى الأستاذ على شوقى وزير مصر المفوض فى فرنسا حاليا لعل هناك سببا أجهله أنا

أما من ناحية القصيدة فهى له بلا ريب لأنها لا تختلف عن شعره من ناحية إشراق الديباجة ومتانة السبك وفخامة المعنى ، وسلاسة الطبع . . وخصوصا استشهاده بوقائع من التاريخ الإسلامى وإشارته إلى حالات خاصة به . وسيطلع عليها القراء ضمن القصيدة ... هذا إلى أننى أود أن أنبه الكرام من قراء الرسالة الزاهرة إلى أن بعض الأدباء وأنصاف المتأدبين من العراقيين ينحرفون فى كثير من الأحيان وراء عواطفهم وعصبيتهم الإقليمية ؛ فيدعون بأفضلية شعر المرحوم معروف الرصافى على شوقى ، متأثرين بما يلقنهم الجهلة من أساتذة الأدب العربى فى مدارس العراق الرسمية . وأنا لا أعرف كيف يسوغ لهؤلاء الأساتذة الذين يفخرون بأنهم من حملة الشهادات العالية أن يقارنوا الرصافى بشوقى، وفى أى الحدود والموازين ، وماهو وجه التفاضل بينهما، فإلى هؤلاء جميعا أقول إن شوقى قمة شامخة من قمم الشعر العربى الأصيل ، لا يرقى إليها حتى أبو الطيب المتنبى . أما الرصافى كما قال المعرى عندما قرئ عليه شعر ابن هانئ الأندلسى « رحى تطحن قرونا » إذ أن أكثر شعره رحمه الله خطابى يعتمد على فخامة اللفظ وإيقاع الجرس حتى لترى فى كثير من شعره الخلو من المعنى ، وخصوصا فى قصائده التى كان يلقيها فى الحفلات التى يدعى إليها ، لأنه كان يعتمد على التأثير على السامعين بالألفاظ لا بالمعانى ، وبعبارة أخرى خلو شعره من الفن الصادق الذى يتسم به شعر شوقى . وقد يقول قائل إننى بهذه الكلمة أتجنى على المرحوم الرصافى وأنا عراقى؛ ولكني أقول إن هذا هو الحقيقة ، لأننى لا زلت من أشد المعجبين حماسة بوطنيته وإبائه ، وقد نوهت عن ذلك فى سلسلة مقالات نشرتها فى مجلة الحديث الحلبية قبل سنتين ، كما قلت فى رثائه من قصيدة طويلة :

فدعوا القريض لأهله فعميده ... معروف غادر عرشه محزونا
الشاعر الحر الذى بيراعه ... راع « الملوك » وروع « الطاغينا »

فأنا الآن إذن لا أتحامل ولكنى أقرر الواقع، وهاهى قصيدة شوقى الخالدة، وبرغم أنها نظمت سنة ١٩١٨ م فهل يستطيع أن ينظم شاعر مهما دان له البيان مثلها ؟!

خطونا فى الجهاد خطى فساحا ... وهادنا ولم نلق السلاحا
رضينا فى هوى الوطن المفدى ... دم الشهداء والمال المطاحا
ولما سلت البيض المواضى ... تقلدنا لها الحق الصراحا
فحطمنا الشكيم سوى بقايا ... إذا عضت أريناها الجماحا (١)
وقمنا فى شراع الحق نلقى ... وندفع عن جوانبه الرياحا
نعالج شدة ونروض أخرى ... ونسمى السعى مشروعاً مباحا
ونستولى على القسمات إلا ... كمين الغيب والقدر المتاحا
ومن يصبر يجد طول التمنى ... على الأيام قد صار اقتراحا

* * *

وأيام كأجواف الليالى ... فقدن النجم والقمر اللياحا (٢)
قضيناها حيال الحرب نخشى ... بقاء الرق أو نرجو السراحا
تركن الناس بالوادى قعوداً ... من الإعياء كالإبل الرزاحى

(١) جمع شكيمة حديدة اللجام
(٢) المضئ

جنود السلم لا ظفر جزاهم … بما صبروا ولا موت أراحا
فلا تلق سوى حى كميت … ومنزوف(٣) وإن لم يسق راحا
ترى أسرى وما شهدوا قتالا … ولا اعتقلوا الأسنة والصفاحا
وجرحى السوط لا جرحى المواضى … بما عمل الجواسيس اجتراحا(٤)

* * *

صباحك كان إقبالا وسعداً … فيا يوم الرسالة عم صباحا
وما نألو نهارك ذكريات … ولا برهان غرتك التماحا
تكاد حلاك فى صفحات مصر … بها التاريخ يفتتح افتتاحا
جلالك عن سنى الأضحى تجلى … ونورك عن هلال الفطر لاحا
هما حق وأنت ملئت حقا … ومثلت الضحية والسماحا
بعثنا فيك « هاروناً » وموسى … إلى فرعون فابتدرا الكفاحا
وكان أعز من روما سيوفاً … وأطغى من قياصرها رماحا
يكاد من الفتوح وما سقته … يخال وراء هيكله (فتاحا)
ورد المرسلون فقيل خابوا … فيالك خيبة عادت نجاحا
أثارت وادياً من غابتيه … ولامت فرقة وأست جراحا
وشدت من قوى قوم مراض … عزائمهم فردتها صحاحا
كأن ، بلال نودى : قم فأذن … فرج شعاب مكة والبطاحا
كأن الناس فى دين جديد … على جنباته استبقوا الصلاحا
وقد هانت حياتهم عليهم … وكانوا بالحياة هم الشحاحا
فتسمع فى مآتمهم غناء … وتسمع فى ولائمهم نواحا

* * *

حواريين أوفدنا ثقاة … إذا ترك البلاغ لهم فصاحا
فكانوا الحق منقبضا حييا … تحدى السيف منصلتا وقاحا
لهم منا براءة أهل بدر … فلا إثماً تعد ولا جناحا
ترى الشحناء بينهم عتاباً … ونحسب جدهم فيها مزاحا
جملة الخلد منزلهم ، وزدنا … على الخلد الثناء والامتداحا

* * *

يميناً بالتى يسعى إليها … غدوا بالندامة أو رواحا
وتسبق فى أنوف الحج ركناً … وتحت جباههم رحباً وساحا
وبالدستور وهو لنا حياة … نرى فيه السلامة والفلاحا
أخذناه على المهج الغوالى … ولم نأخذه نيلا مستباحا
بنينا فيه من دمع رواقا … ومن دم كل نابتة جناحا
لما ملأ الشباب كروح سعد … ولا جمل الحياة لهم طماحا
سلوا عنه القضية هل حماها … وكان حمى القضية مستباحا
وهل نظم الكهول الصيد صفا … وألف من تجاربهم رداحا
هو الشيخ الفتى لو استراحت … من الدأب الكواكب ما استراحا
وليس بذائق النوم اغتباقاً … إذا دار الرقاد ولا اصطباحا
فيالك ضيغما سهر الليالى … وناضل دون غايته ولاحى
ولا حطمت لك الأيام نابا … ولا غضت لك الدنيا صباحا

* * *

وبعد فهذه عصماء شوقى سقتها لتكون شاهداً على عبقريته ولتضم إلى مجموعة شوقياته ، وخصوصاً إلى عشاق شعره الذين لا يحتفظون بنسخة منها

وفى الختام أود أن أنبه أساتذة الأدب العربى فى العراق وفى مدارسها التى تشرف عليها وزارة المعارف إلى أن لا يهرفوا مرة أخرى أمام طلابهم بأن الرصافى أشعر من شوقى ، خوف أن يأتى زمن نكون فيه معرة المثقفين العرب . اللهم اشهد لقد بلغت

بغداد ــ أمانة العاصمة **عبد القادر رشيد الناصرى**

(٣) ــ المنزوف : المخمور
(٤) ــ الاجتراح : الرمى بالعهر

مقدمة لكتاب « عقيدتي »

برتراند رسل

الفيلسوف الإنجليزي المعاصر

للأستاذ عبد الجليل السيد حسن

تتمة ما نشر في العدد الماضي

فلسفته :

لانظنك ظانا أننا آخذون في تفصيل فلسفة برتراند رسل ، في هذا المكان ، بل حتى ننأى بك عن أن تظن أننا آخذون في إجمالها لك الآن ، وأنت تعرف من دون شك أن هذا الفيلسوف قد جال في ميادين عدة ، كل ميدان منها يحتاج إلى غزو وتذليل ؛ فأنت تعرف أنه فيلسوف قبل كل شيء ، ومنطاق ، بل إمام في المنطق ، وصاحب مذهب جديد فيه ، ثم هو عالم رياضي من الرعيل الأول وكاتب اجتماعي وأخلاقي وصاحب آراء في التربية ، وهو في كل ذلك نسيج وحده ، يتناول كل شيء بعقله الخاص وذهنه العجيب . فهو حر إلى أبعد حدود الحرية ، يمقت الاستعمار ويزدريه . ويرى أن بريطانيا بدون مستعمرات وإمبراطورية ، تكون أسعد مما هي عليه الآن ، ولعل في ذلك أثراً من جدته . ثم هو يبغض الألقاب والمزايا الوراثية ويسخط عليها مع أنه سليل اللوردات أرستقراطي الأصل

وإن مفتاح فلسفة رسل هو الفكر الحر والنظر العقلي البحت والاطمئنان إلى ما يطمئن إليه العقل ، والنفور مما لا يتفق معه ، ولاشك أن عقلا هذه طبيعته وذهنا هذه خصائصه ، لا بد أن يتجه إلى الرياضة ، فهو مثال العلم العقلي الدقيق ولكن عقلا جبل على النظر الحر لا بد أن يستقرى ويتعمق حقائق الرياضة . فقاده ذلك إلى القضايا الأولية التي تتركب منها الرياضة ، ولكن هل الرياضة هي الوحيدة التي لها هذه الميزة وهذه القضايا ؟ لا ، إن هناك علماً آخر هو المنطق ، علم النظر العقلي الدقيق أيضاً ؛ فليدرس المنطق ، ولكنه يجد أن المنطق يتكون من بديهيات عقلية هي أساس للحقائق الرياضية ، إذن فالرياضة والمنطق أساسهما واحد ؛ بل إن الرياضيات والمنطق الصوري شيء واحد ، وفي مقدور العقل أن يستنتج كل حقائق الرياضيات من عدد صغير من البديهيات المنطقية ؛ إذن فلا بد للعقل أن يسير بهدى هذا المنطق ، ولكن ليس هو المنطق القديم العقيم . وقد اتخذ رسل طريقة قويمة هي طريقة التحليل المنطقي ، وكان أعظم ما عمله رسل هو تخليص التحليل المنطقي من سيطرة النحو التقليدي ، فإن المعنى النحوي لجملة من الجمل لا يؤدي المعنى المنطقي لهذه الجملة ، فحينما نقول : « إن وحيد القرن (١) غير موجود حقيقة » فهذه الجملة ليست من نوع الجملة التي تماثلها من الناحية النحوية وهي « إن الأسود غير وديعة » فالجملة الأخيرة تعني أن هناك حيوانات معينة اسمها الأسود تنقصها صفة معينة وهي الوداعة ، ولكن الجملة « وحيد القرن غير موجود » لا تعني أن هناك حيوانات اسمها وحيد القرن وتنقصها صفة الواقعية ، لأنه ليس هناك مثل هذه الحيوانات حتى تكون هناك مثل هذه الصفة

إن أهم شيء في فلسفة رسل هو منطقه وآراؤه فيما بعد الطبيعة والأخلاق والطبيعة ، والعلاقة بين المادة والعقل ، ويمتاز رسل بتحليله المنطقي العميق وهو يحب أن لا توضع فلسفته في صف الفلسفة المثالية أو الواقعية ، بل يفضل أن توصف بأنها « منطقية ذرية » (Logical Atomism) لأن الشيء الذي يميز كل دراساته هو استخدامه للتحليل المنطقي كطريقة ومنهاج ، واعتقاده أنه ، بهذه الطريقة يستطيع أن يصل إلى رأي مقبول في طبيعة المادة فالمادة مكونة من ذرات وبتحليله المادة تحليلا منطقيا يستطيع الوصول إلى حقائق ووقائع ذرية

(١) هو الحيوان الخرافي الذي يسمى (Unicorn) ويقال إن له جسم الحصان ورأس الغزال وقدم الفيل وذيل الأسد ويخرج من وسط جبهته قرن أسود ذو شعبتين وهو غير وحيد القرن المعروف بالخرتيت

والذي يجدر بنا الإشارة إليه الآن هو رأى رسل فى المعرفة لأنه بمثابة العمود الفقرى من فلسفته فيقول رسل [٢] « إن كل حقائق معرفتى عن العالم الخارجى هى حوادث (events) فى عقلى » (ص ١٧١) ويوضح ذلك فيقول « إن ما أعرفه بدون استنتاج حينما أكون فى حالة ، ولكن « رؤية الشمس » ليس هو الشمس بل حادثة عقلية فى نفسى ، وأنا لا أشعر بالموائد والكراسى الموجودة الآن ، بل إن ما أحس به هو تأثيراتها المعينة فى ، وإن موضوعات الإدراك الحسى التى أعتبرها « خارجية » بالنسبة إلى مثل السطوح الملونة التى أراها ليست خارجية إلا فى فراغى الخاص الذى يتوقف عن الوجود حينما أموت » (ص ٢٢٥)

« وحينما يقال إنى أرى المائدة فإن الذى يحصل حقيقة هو أنى أحس بإحساس مركب يشابه — باعتبارات معينة — فى بنائه المائدة الطبيعية » فالإنسان حينما يرى المائدة لا يرى المائدة ، بل إنما يرى منها لونها وشكلها ، وإذا لمسها أحس بها ، ولكنه لا يرى اللون أو الشكل حقيقة بل كل ما يحدث أن يؤثر الإشعاع اللونى على بصره ، وأنه لا يرى الشكل كاملا مستطيلا أو مستديراً مثلا بل يراه من جهة واحدة ، ثم هو الذى يعطى له الشكل المستطيل أو المستدير ، وحينما يلمسها فكل ما يحدث أن يتأثر إحساسه تأثيرات خاصة « فلسنا نرى حقيقة الموضوعات الطبيعية بشئ أكثر من سماعنا للموجات الكهرطيسية حين سماعنا للراديو » (ص ٣١١)

والأمر الرئيسى فى هذا القول هو أننى حينما أرى شيئا وليكن مائدة مثلا فإن إدراكى الحسى هذا هو حادثة فى عقلى أنا ، ولكن ما هو الإدراك الحسى ؟

يجيب رسل عن ذلك بأنه — كما يستعمل اللفظة — مايحدث حينما يرى شيئاً أو يسمع شيئاً أو حينما يعتقد فى نفسه أنه أصبح يشعر بشئ خلال حواسه

وأما آراؤه فى التربية فهو يرى أنه ينبغى أن تعالج التربية فى السنوات الأولى من الطفولة لأنه بعد سن السادسة تقريباً يكون قد تكون لدى الطفل عادات وميول بها يسهل قياده فى الطريق الصحيح المراد أن يسلكه ، فنحن نستطيع أن نشكل ونوجه غرائز الطفل وقواه فى سنواته الأولى إلى ما نريده من تربية . والطفل ليس شريراً أو خيراً بفطرته ؛ بل إن الذى يحوله إلى الخير أو الشر هو التوجيه التربوى القويم أو المعوج فى السنوات الأولى ، ويهدف من التربية إلى خلق أناس يتوفر لديهم من النشاط والحيوية والشجاعة وعدم الخوف والذكاء وسعة الأفق واتساع العقلية الشئ الكثير . ولا بد من الحرية والفكرية وتشجيع المزعة — لدى الشباب — إلى مناقشة كل أمر ، والإيمان بأن المعرفة يمكن تحصيلها ، وأنها ليست مستحيلة وإن كانت صعبة فى بعض الأحيان

ومن المفيد أن يربط بين العلم النظرى والحياة العملية وتبين فائدة العلم النظرى فى الحياة للأطفال ، وليس معنى ذلك إهمال العلم المحض ، فهناك علوم لها قيمة كبرى بغض النظر عن تطبيقاتها العملية

ولنستحضر أمام أعيننا أن الحياة السعيدة هى تلك الحياة التى يغمر جوانبها الحب ، ولكنه ليس حبا تقوده أمور اعتباطية ، بل هو الحب الذى تقوده وتدير رحاه المعرفة والعلم ، فمعرفة بدون حب تؤدى إلى هلاكنا ؛ وحب بدون معرفة يؤدى إلى هلاكنا أيضا

* * *

وهل هناك من إله ؟ يقول رسل أن لا ! وإن كان هناك إله فهو إله محدود ، وليس ببعيد أن يقول ذلك فهو الذى يقول إن الإنسان وحش وإله . وليس هناك من إله مطلق القوة والقدرة بالصفات التى يعتقدها المسيحيون فى الله ، لأن الله لو كان مطلق القدرة ما خلق هذا العالم الناقص . وقد برهن ليبنتز على أن الشر من الضرورى أن يوجد فى العالم لكى يكون من الممكن إظهار خير أعظم منه ولكن ليبنتز لم يلاحظ أن نفس الدليل يثبت أيضا وبنفس القوة أنه من الضرورى وجود الخير لكى

---

(٢) رأى رسل فى المعرفة معروض فى كتابه الذى ظهر سنة ١٩٤٨ وعنوانه « المعرفة الإنسانية ، مداها وحدودها »

يكون من الممكن إظهار شر أعظم منه ، ولو أن عالما سيئا بعض السوء قد خلقه إله مطلق الإحسان، فإن عالما خيراً بعض الخير قد يكون الذى خلقه شيطان مطلق الشر، وكلا الدليلين يبدوان أنهما محتملان عند رسل ، ويكفى أنهما محتملان وليسا بيقينيين فى الرد عليها

* * *

ونختتم الآن هذا العرض الموجز لحياة رسل ، وطرفا من فلسفته بنقل تجربة عاناها برتراند رسل نفسه وسجلها فى أحد كتبه (٣) قال « إنى لم أولد سعيدا ... وفى سن الخامسة تفكرت فى أننى لو عشت إلى السبعين أكون فقط قد تحملت إلى الآن جزءا من أربعة عشر جزءا من حياتى وشعرت أن الشقاء الطويل المدى الذى أمامى مما لا يمكن تحمله ، وفى المراهقة عفت الحياة وكنت على شفا الانتحار الذى لم يمنعنى منه إلا رغبتى فى أن أزود أكثر من الرياضيات . والآن فإننى على العكس أغتنم بالحياة ، وبالأحرى يجب أن أقول إننى أغتنم بها أكثر بمرور الأعوام ، وهذا راجع نوعا ما إلى توفيق فى اكتشاف الأشياء التى أرغب فيها أكثر ، وقد حصلت على كثير منها تدريجيا ، وهذا راجع إلى نجاحى فى طرد أشياء - كانت موضع الرغبة - مثل الحصول على معرفة حقيقية لا تقبل شكا عن شئ أو غيره - لأنها من المحال إدراكها ، ولكن هذا يرجع فى الغالب إلى التقليل من محاسبة نفسى، فقد كنت كالآخرين الذين تلقوا تربية جافة (حنبلية) كثير التأمل فى خطاياى وحماقاتى وتقصيرى وبدوت لنفسى - ومن دون شك كان ذلك صادقا - مثلا تعسا ، وبالتدريج تعلمت أن أكون قليل الاهتمام بنفسى وبتقصيرى، وأخذت أركز انتباهى بازدياد نحو الموضوعات الخارجية : حالة العالم ، الفروع المختلفة للمعرفة ، والأشخاص الذين أشعر نحوهم بحب . وحقا إن الاهتمام بالأشياء الخارجية له ألمه المحتمل : فقد يشتبك العالم فى حرب ، وقد تكون المعرفة من الصعب الحصول عليها فى بعض النواحى ، وقد يموت الأصدقاء ، ولكن الآلام من هذا النوع لا تقضى على القيمة الجوهرية للحياة كهذه الآلام التى تصدر عن النفور مع النفس ، وكل اهتمام خارجى يوحى - مادام الاهتمام فعالا قويا - بشئ من النشاط الذى يعتبر وقاية تامة من السآمة والضجر ، وعلى العكس من ذلك لا يؤدى الاهتمام بذات الشخص إلى نشاط من النوع المتزايد »

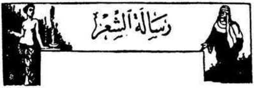
والآن لندع رسل يحدثنا عن عقيدته وقد عرضها فى كتابه هذا الصغير (٤)، وهو على رغم صغره أحد المراجع الهامة فى فلسفة رسل، وميزة الكتب الصغيرة أنها تعرض المؤلف وعقيدته الخاصة لأنه ليس هناك من مجال لعرض آراء غيره وللمناقشات الطويلة التى لا يعرف منها رأى الكاتب إلا بعد طول عناء

للكلام بقية

عبد الجليل السيد حسن

11, 18 19 The Conquest of Happiness

(٤) - ظهرت الطبعة الأولى فى مارس سنة ١٩٢٥ وظهرت الطبعة الثامنة فى يناير ١٩٣٣ وعنها الترجمة ، وقد ظهرت هذه الطبعات فى سلسلة « اليوم والغد » ، وعنوان الكتاب الأصلى (What I Believe)



حياتى ظلال !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حياتى ظلال وعيشى ملال — ونفسى مغلفة بالعذاب !
وعمرى قيود لروح شرود — تفرد ... لا موطن أو صحاب !

* * *

وحبى سراب طواه اليباب — وقد كان يسعد قلبى الحزين
وقلبى غريب جفاه الحبيب — وأودع فيه لهيب الحنين

* * *

وصمتى أنين خفى الرنين — يناجى عهوداً طواها الخفاء
وتلك العهود تراها تعود — وتسقى حياتى رحيق الصفاء ؟

* * *

وشعرى نواح كشجو الرياح — إذا مزقتها شعاب الجبال !
ومن ذا يلوم ؟ وعمرى غيوم — تعربد فيها رياح الزوال !

* * *

عبرت الوجود بناى وعود — وغنيت ما هز قلب الجماد
فضاع الغناء ومات الرجاء — وصارت حياتى ... بقايا رماد !

* * *

ومجدى هباء كنجم أضاء — لعابر ليل شريد غريب
فلما أتاه توارى سناه — وخلفه للظلام الرهيب

* * *

وحظى ضياع وحق مضاع — أحارب من أجله الناسبين
وكم ذا أثور كنار تفور — فيستنصر الظلم بالظالمين

* * *

وكم ذا بليت وكم ذا اشتكيت — فضاعت شكاتى ، وضاع البكاء
وما لى معين من البائسين — فنأخذ ما نبتغى ... بالدماء

* * *

وبعض الأنام عبيد طغام — يسخرهم سادة أدعياء !
أذاعوا الشقاء بأرض الثراء — لتسعدهم شقوة الأشقياء !

* * *

فقدت العزاء وعفت البقاء — بأرض سقتنى نقيع الشجون
أريد الرحيل كشمس الأصيل — إلى عالم لا تراه العيون

* * *

وكيف الذهاب ؟ وجسمى تراب
تقيده الأرض ... رمز القيود
فيا للمصير ! تراب يسير
ليفنى كما كان قبل الوجود

* * *

أمامى ظلام وخلفى قتام — وتحتى ركام كجون السحاب
وفوق الركام يسير الحطام — وما هو إلا حطام الشباب

* * *

بعيد الديار وكيف المزار — وما من دليل ، ولا من طريق
شربت الهوان بكف الزمان — فأصبحت من سكرتى لا أفيق

* * *

بمن أستجير ؟ وما لى من نصير
كأنى أقيم بأرض الذئاب !
وكم لى نداء يهز الفضاء — وما من مجيب ، وما من جواب !

* * *

علام الشكاة لصم عتاه — بكاء الحيارى لديهم ... غناء ؟
ويا قلب ... آه ! سئمنا الحياه — فهيا نسر فى طريق الفناء !

ابراهيم محمد نجا

اللب والقشور

للشاعر محمد مفتاح الفيتورى

لا تحسبى سخرك من شعورى
يطفئ بين الملهمين نورى ..!
يا أرض ... يا خانقة الزهور
يا عبدة الأصداف والقشور



مواطنون ... لا رعايا

تأليف الشيخ خالد محمد خالد

للأستاذ علي العماري

هذا كتاب يجيء في أوانه ، وبقدر ما أخفق المؤلف في كتابه (من هنا نبدأ) بقدر ما أصاب من نجاح في كتابه هذا ،

يا مقلة شائهة التصوير ...
يا كعبة ملعونة النذور ...
يا جثة منتنة البخور ...
لسوف يوماً تبصرين نوري
نور الفتى المحتقر الفقير
فتسجدين سجدة المقهور
خاشعة ... هنا على حصيري
باسطة كفيك كالضرير
صارخة من وطأة الضمير
فعربدي راقصة وثوري
وأحتقري واستهزئي وجوري
وأغرقي ما شئت في الفجور
واستغرقي في وهمك النضير
فوق فراش الشهوة الوثير
وزهر القطيفة المنثور ...
وتحت ضوء المرقص البلوري
ورنة الأرغن والطنبور
ورعدة الأكؤس في الثغور
وجيشان الرغبة المثير ...
غداً تحين ساعة النشور ويعرف اللب من القشور

محمد مفتاح الفيتوري

ومقياس الإخفاق والنجاح عندي هو سلامة الفكرة، وأصالة الرأي ، والقرب من الصواب ، والبعد من المغالطة والتعثر والإضطراب

ولعل كتاب (مواطنون لا رعايا) من أجدر الكتب بأن يطلع عليه كل من يستطيع أن يقرأ في مصر ، بل في الشرق ، فهو جدير بأن يطالعه الزعماء وقادة الرأي في البلد إن كان عند هؤلاء رغبة في مطالعة كتاب شعبي ألفه رجل ليس من كبار المؤلفين ، ولكن قوله من أحسن وأجل وأصدق ما يجب أن يقال ، وهو جدير بأن يطالعه شباب مصر المثقفون لأنه يعبر عما يجول في النفوس من آلام وآمال ، وهو جدير بأن يطالعه رجل الشارع لأنه يبصره بمواضع قدميه ، ويقول الكلمة التي لا يستطيع أن يقولها وإن كانت تحوم على لسانه ، وتستقر في نفسه

بدأ المؤلف كتابه في الحديث عن الاستعمار التركي ، وما أصاب مصر من بلاياه ورزاياه ، وما خلف فيها من آثار سيئة في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ثم قال — وهنا بيت القصيد — : (ونحن ننبش قبر الاستعمار التركي ا[illegible] كتشف الأوتاد المطمورة تحت ترابه ، والتي لا تزال تصلنا بـ[illegible] سلاسل وأغلال . ومالم ننظف روحنا المسيطر من رواسب الما[illegible] فسنظل دائماً نعيش في ذلك الماضي برجعيته وفساده واستبداد[illegible] وسيظل الشعب جاثيا تحت الأثقال التي أنقضت ظهره ، وهـ[illegible] تواه . إننا — الدولة والشعب — لا نزال نعيش في ذلك الماضي [illegible]عيق ، فالعجز السياسي ، والرجعية الاقتصادية ، والأنهيا[illegible]لق ، والشعب المستسلم ، والحكم الأتقراطي ، والفساد [illegible]اري ، والحريات المصادرة ، واستغلال الدين . كل هذه الـ[illegible] تقترف اليوم بنفس الهمة العالية التي كانت تجترح بها في تلـ[illegible]ون . إن الاستعمار التركي قد اختنق حكامه ، وبقيت تقاليد[illegible]ماره وأحكامه)

ثم تحدث عن الاستعمار الإنجليزي ، مبينا مثالب[illegible]اره ، وشارحا دخول الإنجليز مصر ، والمظاهر المختلفة التي [illegible]فيها الاستعمار ، وأطال جدا في هذه الناحية ، وانتهى إلى أ[illegible] مما تفعله الحكومة لن يخرج الإنجليز من مصر ، فالمفاوضـ[illegible]عرة

لها ، والمنظمات الدولية خداع ونفاق وأداة طيعة فى يد القوة ، وإنما يخرج الإنجليز من مصر شئ واحد ، هو القوة ، ولا شىء غير القوة

ولتحقيق هذه الغاية يتعرض المؤلف للأوضاع القائمة فى مصر، وينقدها نقداً عنيفا صريحا لا مواربة فيه ولا التواء ، ثم يوضح الطريق للاصلاح المنشود (ولقد حاولنا جهد هذا البحث المقتصد الموجز ، أن ننفض عن أمتنا طغاوة البغى ، ورهج الانكسار ، ونماونها فى فض قيودها وأغلالها ، وسنرى خلال سيرنا مع هذه السطور ما يجعلنا نرتد عاجزين عن الاقتناع بأن لنا حقوقا ترعى وحرمات تصان) فينقد الحياة النيابية ، ويرسم الخطة لإصلاحها، وينقد الصحافة التى تجعل (الأخلاق التجارية تسيطر عليها أكثر مما يسيطر عليها الواجب الأدبى) وينقد الأحزاب ومناهجها وسلوكها فى حكم الأمة (فالحزب الذى لا يستأثر بالحكم يستأثر بكل شىء معه . لقد آمنت بأن الأحزاب لا تحترم الشعب أبدا . أن الحزب — فيما يبدو — لا يريد نائبا يشرفه بعقله ومواهبه ، ولكنه يريد — بوليصة تأمين — تؤمن خزينته من الإعواز ، ونفوذه من الخذلان . وبعد : فإن مجالسنا النيابية حتى اليوم لم تمثل الأمة بقدر ما مثلت الحزب . والبرلمان الذى يأتى ثمرة هذه الأوضاع الفاسدة — لا يحكم الحكومة بل تحكمه) وينقد الحكومات فى معالجتها كل حركة بقانون ، ويرى أن السلس الذى يصيب الحكومات فى وضع القوانين هو أخطر ما تصاب به أمة ، وأن محاولة زجر الشعب بقانون إنما هو كمحاولة إطفاء النار بقاذفات اللهب (ولسنا بذلك ندعو إلى شغب أو فتنة ، بل إلى سكينة وسلام، وإنما دعاة الفتنة والثورة ؛ بحق هم أولئك الذين يتحدون طبائع الأشياء ويحاربونها بقانون) ثم يصف حال الشعب فى عبارات صريحة جريئة (إن بلادنا محرومة من أن تفكر لأنها محرومة من أن تقرأ ، ومحرومة من أن تعبر وتقول ، وهى ممنوعة من ذلك كله حرصاً على سلامة الدولة ، وسلامة الهيئة الاجتماعية . مطلوب من الجماهير أن تبسط يدها إلى اللقمة المغثة ، أو الحثرة الدسمة ، ثم تدسها فى فمها، وتستحليها كما تفعل بأى شئ حلو لذيذ . ماذا طرأ علينا من تغيير وتطوير ؟ كنا بالأمس (عبيد الباب العالى) ونحن اليوم عبيد الحزب الحاكم .. أى حزب . كنا بالأمس ضحايا النهب والرشوة والاستغلال، ونحن اليوم كذلك أيضا . كنا بالأمس مسلوبى الحرية والإرادة . . . وليس لنا دستور ، ونحن اليوم مسلوبو الحرية والإرادة والكرامة وممنا دستور . كنا بالأمس أمة مستعمرة بإكراه ، ونحن اليوم أمة مستعمرة بمعاهدة) ويدعو فى قوة وحماس إلى تنمية غرائز الغضب والنفور ، وحب الذات فى الشعب ، وتركها تؤتى ثمارها فى تقدم الأمة وتحريرها ، ويرى أن غريزة حب الذات من أنبل وأنفع السلائق الإنسانية

ولو أن المؤلف أضاف إلى هـــذه المثبطات لتقدم الأمة ، والعوامل فى تأخرها، لو أنه أضاف الإذاعة المصرية التى قتلت فى الأمة عزتها ، والصحف الماجنة التى جنت على أخلاقنا أشنع الجنايات وأقتلها ، لأنم بذلك الدائرة الحقيرة التى تضغط الشعب وتحكم قيوده

ولم أرد بهذا العرض السريع أن أوصل إلى القارئ كل ما فى الكتاب من حقائق ، وما يشتمل عليه من توجيهات للحكومات والشعوب ، وإنما أردت — فقط — أن أشير إلى روح الكتاب ونهجه

على أنى لا أخلى المؤلف من اللوم ، فإن عنده عقدة نفسية من رجال الدين ، فهو يهجم عليهم لغير مناسبة ، ويتجنى عليهم ولا جناية ، وليس أدل على ذلك من ذكره لهم عند حديثه على غريزة الغضب وغريزة حب الذات ، فهو يحاول أن يحملهم وزراً مع أنهم لا يخالفونه فى الرأى ، وهو عند — النظر الفاحص — لم يزد على ما يقولونه شيئا ، وأنا لا أريد أن أخلى رجال الدين من التبعات ، ولا من اللوم ، ولكنى أحب أن نلوم عندما نجد موضعاً للوم حتى يكون لومنا مفيداً . كما أن المؤلف لم يوفق فى كلامه على التقاليد وبخاصة حين قال : (والحقيقة التى تتسرب عن بالنا هى أن الأديان جميعها لم تأت إلا لتدمدم على التقاليد وتقتلعها ثم تذروها مع الريح . .) هكذا بعمم الكلام . . . وهو خطأ ذريع

إن المؤلف أسرف فى إرخاء العنان للغرائز التى ذكرها ، ولكنه دون أن يشعر رجع إلى الاعتدال ، فهو مثلا ينقل عن

بعض الكتاب مؤيداً ما يقول الكاتب ، وفى هذه الكلمات التى أشاد بها المؤلف هذه الفقرات عن غريزة الغضب (ولكننا إذا أرخينا الحبل لهذا الحافز الماطق الذى لا غنى عنه كانت النتيجة مدمرة ، فإن البغضاء المزمنة أو إمساك الحقد فى القلب يمزق صاحبه) وهذا هو الاعتدال الذى ينادى به رجال الدين ورجال التربية فى كل الغرائز ولا شئ غير هذا ، فإذا كان المؤلف مؤمناً بهذا الاعتدال فهو - إذن - لم يأت بجديد ، وإذا كان يريد أن تترك الغرائز تجرى غاية حضرها فقد أخطأ الطريق

والمؤلف ينكب الجادة عن قصد أو عن غير قصد حين يدعو إلى التحالف مع روسيا ، وحين يشيد بعبارات جميلة بروسيا وعواقفها مع مصر ، ولو التزم جانب السداد والنظر الفاحص ، لرفض أن يدعو إلى التحالف مع روسيا كما يدعو إلى رفضه مع بريطانيا وأمريكا

بريطانيا وأمريكا دولتان استعماريتان ، تضمران للشرق كل شر . هذا صحيح . ولكن روسيا - أيضاً - كذلك، ولا أدرى كيف نسى المؤلف أو تناسى معاونة روسيا على قيام إسرائيل ! ؟

إن روسيا تحارب الاستعمار فى كل مظاهره - كما يقول المؤلف - ولكنها لا ترى بأساً من أن تساعد على طرد شعب من دياره ليحل محله شعب آخر ! الحق يا أستاذ أن - الكفر كله ملة واحدة - كما يجرى على الألسن

وأعود فأقول إن المؤلف كفر بكتابه (مواطنون لا رعايا) عن كتابه (من هنا نبدأ) والحسنة كفاء السيئة

ع . ع

كتب جديدة :

حافظ وشوقى

تأليف الأستاذ حسن كامل الصيرفى - ٧٦ صفحة من الحجم الكبير - الطبعة الثانية بالمقتطف عام ١٩٤٩

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ الصيرفى شاعر مجدد ، من المدرسة الحديثة فى الشعر المصرى المعاصر . وديوانه : « الألحان الضائعة » و « الشروق » ، وألحانه الجيلة وتأملاته التى تنشر فى الصحف والمجلات ، من الطراز الفنى العالى ، الذى ينم عن شاعرية موهوبة أو نفس شاعرة ، وملكات مطبوعة . . ومزيته فى ترانيمه الموسيقية الآسرة واضحة كل الوضوح ، كما يقول الناقد الحر مصطفى السحرتى فى كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »

ونشاط الصيرفى الأدبى نشاط مبكر جدا ، فمنذ الخمسة عشر عاما كان يشرف على تحرير بعض المجلات الأدبية ، ويكتب البحوث فى الأدب والنقد ، وينظم القصائد الجيلة العالية

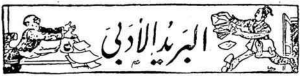
وآخر ثمراته الأدبية كتابه « حافظ وشوقى » ، الذى يدل على عقلية مؤلفه الخصبة ، وملكاته القوية فى النقد ، ومنهجه الواضح فى الموازنة والتحليل ، والدراسة الأدبية الصحيحة

وصعوبة الكتابة عن شوقى وحافظ من حيث الموازنة المنهجية بينهما ، لا يجهلها أحد ، ولكن الصيرفى نهض بهذا العبء فى قوة واستقامة غرض ودقة تحليل وإصابة هدف

والشاعر لا يستطيع أن ينقد شعره إلا شاعر مثله ، يفهم منهج الشعر ومذاهبه وأدواته ، ويتذوق أسلوبه وعناصره . . . سئل البحترى عن مسلم وأبى نواس أيهما أشعر؟ فقال أبو نواس. فقيل له إن أبا العباس ثعلباً (الراوية اللغوى الأديب النحوى المتوفى ٢٩١ هـ) لا يوافقك على هذا ؛ فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه المتعاطين لعلم الشعر دون عمله

لذلك كان نقد الصيرفى الشاعر لشوقى وحافظ الشاعرين : وموازناته الأدبية بينهما ، من الدقة والإصابة بمكان بعيد مما تحس به حين يتحدث عن ديباجة الشاعرين وموسيقاهما ، أو حين يحلل شعرهما السياسى والتاريخى ، أو شعرهما فى الطبيعة والمرأة ، وفى الرثاء ، وفى بعض المواقف التاريخية والوطنية : كحادثة دنشواى ، ووداع كرومر ، ووفاة مصطفى كامل ، وإعلان الدستور العثمانى وخلع عبد الحميد ، وحريق ميت غمر ، وزلزال مسينا الذى صوره حافظ ، وزلزال طوكيو الذى صوره شوقى ، ومحاولة اغتيال سعد

وحين يعرض الصيرفى الناقد لفن الشاعرين نلاحظ قوة



تعليق على « الدخان فى الشعر »

كتب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى فى العدد ٩٢٥ من الرسالة الغراء مقالة بعنوان « الدخان فى الشعر » استعرض فيها بعض القصائد فى الدخان لبعض الشعراء العراقيين

وأول ما تناول كاتب المقال قصيدة « العادات قاهرات » للمرحوم الرصافى المنشورة فى ديوانه الأول المطبوع سنة ١٩١٠ م بالمطبعة الأهلية ببيروت

ولقد استوقفتنا بعض العبارات التى دونها الأستاذ بيراعه على صفحات الرسالة . وإظهاراً للحقيقة وددنا التعليق والرد على ما جاء ، بهذه الفقرات التالية لكى يقف على الحقيقة . الفقرة الأولى : —

علق الأستاذ على هذه الأبيـــات من أنها خير دليل على كذب الرصافى

إن كلفتنى السكارى شرب خمرتهم
شربت لكن دخاناً من سيكاراتى

إنى لأمتص جمراً لف فى ورق
إذ تشربون لهيباً ملء كاسات

إن الرصافى نشر هذه القصيدة بديوانه المنشور سنة ١٩١٠م وربما نظمها قبل هذا التاريخ ببضع سنوات ، وبهذه الفترة الزمنية فى حياته كان صادق اللهجة فى إنكاره الخمرة بعيداً عما يتصوره الأديب ، حيث أنه لم يتحرر من العامل الدينى آنذاك تحررا كليا ، إذ كان يقتصر على التدخين وحده ، ولا يرى فى الكأس إلا اسما زعاماً

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه شاعر ، والشاعر له إحساسات وعواطف يحس فيها بقرارة نفسه ، فيتناول يراعته ليضعها فى قوالب موسيقية متناسقة ، ويلبسها حلة زاهية . ولو علم أن ما كتبه مخالف لما هو عليه ، فرائده تدوين ما انبثق من حسه وما يتصوره من شعور

ولو فرضنا جدلا أن الرصافى يحتسى الخمر حقا فى تلك الحقبة الزمنية فقصيدته جاء بها عن طريق النصح والارشاد حتى يتعظ القارئ ويقتنع من قول ناصحه

ولقد سلك الرصافى مسلكا تحايليا لإبانة ضررها بصورة يشعر المطالع لها ان ناظمها ممن يجب الاقتفاء بأثره فيتخذ بنصحه فهذا لا يعتبر كذبا

الفقرة الثانية : —

استشهد الأديب بهذه العبارة للأستاذ الكبير « الزيات بك » (همه من الحياة شرب العرق ، ولعب الورق ، واستباحة الجمال)

إنا لا نزعم أن الرصافى لم يحتس الخمرة قط ولا ذاق طعمها ، بل يعود نظم هذه القصيدة فى وقت كان أبعد ما يكون فيه عن الخمر

أما عبارة الأستاذ الزيات فكانت صريحة لا غبار عليها — وهذا ما نتفق به مع الأديب الناصرى — إذ قدم العراق بين فترة سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ والرصافى بحد ذاته لا ينكر ذلك بل ينطق بصراحته التى عهدناها فيه . وإليك قصيدته التى نظمها بعد تلك القصيدة أى (العادات قاهرات)

وروعة لا مثيل لهما ، رغم الإيجاز الشديد فى حديثه عن ذلك

وهذه الموازنات بين الشاعرين تسير وفق أحدث المناهج الأدبية فى النقد ؛ فهى ليست نمطاً من الموازنات القديمة ، التى تنظر إلى الألفاظ والقواعد ، وتحليل بيت ، وتعداد محاسن وعيوب محدودة ؛ وإنما هى موازنات تنظر إلى البواعث النفسية التى أثرت فى فن كل من الشاعرين وإنتاجهما

إن هذا الكتاب القيم لجدير بأن يضفى على شخصية الصيرفى الشاعر شخصية الناقد الحر الطليق

محمد عبد المنعم خفاجى
مدرس بكلية اللغة العربية

« شكواي من الدهر »

إذا ما عقدنا مجلس الأنس بالطلا ... فبيني وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقا ... بمستقطر من خالص التمر رائق
فأقرع بالكأس الروية جبهتي ... بشرب كاعب القطا متلاحق
أسابق ندماني إلى السكر طائرا ... بجنح من الأنس المضاعف خافق
فنادمت أصحابي على غير وحشة ... وقلت لهم ما قلت غير منافق
وأغنيتهم عن نقلهم في شرابهم ... بعز طرى من نقول الحقائق
ولم يبد في السكر عند اشتداده
سوى شكر خلي أو سوى حمد خالقي
تعودت سبقي في الفخار فلم أرد
من السكر أن أحظى به غير سابق

هذه هي صراحة الرصافي في شرب الخمر، ولو كان شاربها في ذلك الوقت الذي نظم فيها قصيدته « العادات قاهرات » لاعترف بذلك كما هو معترف بهذه القصيدة

أما وصف الأستاذ الزيات بك للرصافي وهي العبارات المتعلقة في الفقرة الثانية فقد جاءت نتيجة قدومه إلى بغداد بين سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ م فألفاه على ما هو عليه ووصفه بما رآه في تلك الفترة . فهل يجوز أن تكون عبارة الزيات برهانا قاطعا على جميع الأدوار والفترات التي مر بها الرصافي ؟ بينما القصيدة كانت من إنتاجه أيام شبابه حيث لم يتحرر من التقاليد الدينية آنذاك؛ والتي تلقاها على يد أساتذته أمثال الآلوسي وعباس القصاب

الفقرة الثالثة :

ذكر الأستاذ الناصري (ولست أدري ماذا كان الرصافي يقول لو شاهد الآن الثانيات وهن يدخن في شوارع بغداد) إن القارئ الكريم لو يمعن النظر في هذه الجملة لفهم أن الرصافي ولد وعاش في القرن الثامن عشر . فكيف يسوغ للأستاذ أن يكتب مثل هذه الجملة حول الرصافي . وهو الذي توفى سنة ١٩٤٥ م وخالط جميع الطبقات من رفيعة إلى وضيعة ووقف على أسرار كل منهما . وليعلم القارئ أن الرصافي جاب البلدان ورأى بأم عينه مدناً كالآستانة والقاهرة ودمشق وبيروت والقدس وجالس الكثير من عوائلها المتفرنجة التي لا يبشين نساءها شرب الدخان وهن يتجولن في المجتمعات العامة والحفلات الخاصة وهو صاحب الدعوة إلى السفور

أمثل هذا الرجل لم تنظر عيناه امرأة بفمها سيكارة خلال السنين التي جاب بها تلك الأقطار ؟!

وفي الختام ليعلم الأستاذ الناصري أننا لم نتطرف في التعليق على هذا الموضوع لولا ما لحق الرصافي من غبن

بغداد — هاشم الطائي

١ـ نسبة شعر

نسب المقدم السيد نعمان ماهر الكنعاني في كتابه شاعرية أبي فراس البيتين التاليين إلى أبي فراس

نحن قوم تذيبنا الأعين النجـ ... ل على أننا نذيب الحديدا

والصحيح أنهما لعبد الله بن قيس الرقيات شاعر مصعب ابن الزبير الذي يقول فيه

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء
حكمه حكم رحمة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء

كما أن البيت الثاني ورد على الصورة الآتية

وترانا يوم الكريهة آسا ... داً وفي السلم للغواني عبيدا

واست أدري كيف غفل عن ذلك الخطأ الدكتور مصطفى جواد كاتب المقدمة وهو الصديق الذي لا تنوته هذه الأخطاء ؟!

٢ـ وعس لا وهس

نشر الشاعر العراقي الأستاذ أحمد الصافي النجفي قصيدة في جريدة « اليقظة » البغدادية بعنوان « إلى ولي العهد الجنين » جاء فيها

كم قضى منهمو بلكم ودهس ... واختناق كما دخلت الوجودا
امش وادهس فإنهم حشرات ... ألصقوا بالثرى خدوداً وجيداً

وقد لاحظت أن الشاعر أورد لفظة ادهس بمعنى ادعس وهذا خطأ شائع إذ جاء في القاموس « دعس » بفتح الأول

والثانى والثالث وطسه وداسه .. أما من ناحية القصيدة فهى ركيكة الأبيات مهلهلة الصياغة لست أدرى كيف نشرها، إذ لا تخرج عن منظومات تلامذة المدارس الثانوية ، فليت شعرى ما أصاب الأستاذ الصافى وهو صاحب « الأمواج » ..

(٣) الشعر لأبى تمام

جاء فى الصفحه (٣٠٢) من كتاب الأوراق فى أخبار الشعراء لأبى بكر الصولى أن المرثية التى مطلعها

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

من شعر أبى محمد « القاسم بن يوسف » ولا شك أن هذه النسبة من سوء تصرف شارح الكتاب لامن الصولى نفسه؛ لأن هذه القصيدة هى من شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وهى

وترانا فى ساحة الحرب أحرا رأ وفى السلم للحسان عبيدا

منشورة فى ديوانه فى باب المراثى ص (٣٣٦) حرف النون ومنها هذه الأبيات الرائعة

آخر عهدى به صريعا للموت بالداء مستكينا
اذا شكا غصة وكربا لاحظ أو راجع الأنينا
يدير فى رجعه لسانا يمنعه الموت أن يبينا
يشخص طورا بناظريه وتارة يطبق الجفونا
ثم قضى نحبه فأمسى فى جدث للثرى دفينا

فهل لا نسلم بعد كل هذا من زلل فظيع كنسبة شعر لشاعر مشهور إلى غيره من نكرات الشعراء

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

الى الراغبين فى الحج

قيد الله أداء الحج بالاستطاعة ، وقد فصل الفقهاء بإسهاب ما يجب على من يريد الحج فى كتب الفقه تفصيلا دقيقاً وزاد عليها أن يكون المال الذى يحج به الإنسان من طريق حلال ومن كسب طيب — ولا يقبل الله إلا طيباً — قد أديت زكاته وقت وجوبها خال من ظلم العباد ومن الرياء والسمعة وطلب الشهرة والرفعة بين عباد الله، حتى يصير خالصاً لوجهه الكريم « إنما يتقبل الله من المتقين »

على أن للحج من الأدب والتتمات ما يجب أن تؤدى على الوجه الأكمل ليكون مقبولا، ولذا نجد — مع الأسف الشديد — أناسا قليلين أتموا أعمال الحج الظاهرة والباطنة فنارت أفئدتهم وظهر على وجوههم وأعمالهم هذا الإشعاع النورانى الذى يضيء لهم طريق النجاح بل طريق الهداية والفلاح ، والبقية الباقية وهى كثيرة لم تستند من روحانية الحج شيئاً مذكورا خصوصاً فى عصرنا الراهن الذى أصبحت فيه الأوضاع مقلوبة، فنرى أغنياء الحرب يتكالبون على طلب الشهرة من طريق الحج لأنه فى نظرهم أقصر طريق لوصفهم بالطائعين وللتشبه بالصادقين

ولكنها الدنيا العابثة تجعلنا ما دمنا بعيدين عن روح الدين وعن جادة الطريق — نحسب الشر خيراً والشبهة حلالاً

ومن آثار الحج المقبول أن يحيى الضمائر التى أماتتها الشهوات النفسية ويجعلها ساهرة على أعمال النفس — وقد خلقها الله أمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ، فصار لزاماً على من يحج أن يسأل نفسه : لماذا يحج ، ولمن يحج ، وما فائدة حجه ؟ وأن يبلو نفسه ولا يفتر عن تأديبها بين آن وآخر فإ جهاد النفس شديد — لقول الرسول عليه السلام فى رواحه من غزوة « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » يشير بهذا إلى جهاد النفس ! وأوامر الشرع الحكيم مبنية على المجاهدة

وجماع القول : أن الحج المقبول التام هو تغيير كلى فى الأخلاق والعادات والأفعال ؛ بل هو فى الحقيقة انتقال من حسن إلى أحسن ، ومن كامل إلى أكمل ، والله الموفق للصواب

شطانوف محمد منصور خضر

ولقد عفا عنكم

هكذا ينبغى أن تكون الآية الكريمة ، لا كما جاءت فى السطر السادس والعشرين من الصفحة ٢٩٦ من العدد ٩٢٣ من مجلة الرسالة الغراء الصادر فى ١٢ من مارس سنة ١٩٥١ ، إذ وردت « ولقد عفا الله عنكم » فى صلاة أم عمارة ، وهى من أهل الجنة لا تخطئ فى القرآن ، وهى تصلى به

محمد مختار يونس



الغيب

عن الانجليزية من روائع « وست »

للأستاذ عبد القادر حميدة

« مسرحية في فصل واحد »

الأشخاص :

ريتشارد ألين : أستاذ جامعي سابق

إدوارد لين : ضابط متقاعد

المنظر :

(حجرة استقبال بمنزل المستر ريتشارد ألين في « لوتون » إحدى المدن الصغيرة بانجلترا .. الساعة الخامسة والنصف من أصيل اليوم السادس من يونيو عام ١٩٣٦ — المستر ألين جالس إلى مكتبه يكتب – وعلى مقربة منه قصاصات من أوراق مكتوبة .. وزجاجة من النبيذ وكأسان .. يتناول الكراسة فيمزق آخر ورقة سطرها .. وحين يلقي بها على المقعد .. يصل إلى سمعه دق على الباب فينهض من مكانه .. ويفتحه)

ريتشارد : أدخل يا مستر لين

إدوارد : « في غرابة » أتعرف اسمي ؟

ريتشارد : كنت أتوقعك

إدوارد : أظن أن الدكتور « راودن » تحدث وإياك بشأني مع رسالة يقدمني بها إليك .. آمل أن لا تزعجك هذه الزيارة غير الرسمية ..

ريتشارد : « يتناول الرسالة ويلقي بها على المكتب دون أن يفضها » أنا لا أهتم بالرسميات .. إني أمقتها .. أتسمح لي أن أتناول قبعتك ومعطفك . ؟

« يتناولهما منه ويضعهما على مقعد بجانب المكتب » ...

« إدوارد جالس »

ريتشارد : « يمسك زجاجة النبيذ وينزع سدادها .. ويفرغ منها في جوف كأسين » .. لعلك تشاركني الشراب .. إنها مناسبة طيبة لنحتفي بك .. « أثناء الشراب » .. في أي يوم نحن . ؟

إدوارد : في اليوم السادس من يونيو

ريتشارد : لنشرب حتى الساعة السادسة من اليوم السادس من الشهر السادس عام ١٩٣٦

إدوارد : « وعو يتناول الكأس » إنها الآن السادسة تماما ..

ريتشارد : « في فزع » .. لا .. ليست كذلك .. والآن .. ابسط إلى الأمر الذي من أجله أردت أن تراني

إدوارد : لقد طالعتني إحدى الصحف بمقال عنك نادتك فيه بالرجل الفريد في « لوتون » والأستاذ الجامعي الذي لا يود مطلقاً أن يتحدث إلى أحد ..

ريتشارد : ترهات . !! أنا لست بمتقشف .. ولست بأستاذ جامعي الآن .. ثم أني أتحدث إلى كثير من الناس .. بيد أني لا أحب أن أجادلهم .. إني أكره مباحثة الأشياء معهم .. لأنني لا أجد أية راحة في البحث والنقاش

إدوارد : أنا لا أظن أن يوجد في « لوتون » أناس كثيرون تجد مناقشاتك في نفوسهم هوى .. فما « لوتون » إلا مدينة ضئيلة ملأى بشرذمة من أغبياء القوم .. الذين لا يثرثرون إلا في أمور عادية هي أشد تفاهة من عقولهم المصدأة .. وإذا عن لهم أن يطرقوا باب المناقشة فليكن في الحثالات والتفالات

ريتشارد : قد يكون هذا هو الصواب .. وقد لا يكون فأنا لم أقابل إلا أفراداً قلائل منهم .. وإن كانوا قد تحدثوا إلى في شيء من الذكاء .. إلا أنني لم أجد لذة في حديثهم !! وأنت .. هل أتيت لتقيم هنا على الدوام . ؟

إدوارد : أجل .. أجل ..! ولقد اعتزلت عملي .. وسأظل هنا على الدوام .. وانه ليسعدني أن ألقاك من وقت لآخر .. وستجد في محدثاً يحسن الجدل في لباقة . ! أنا لا أفخر بذكائي ولست أقصد التواضع .. فهو أغث من الكبرياء . ! لقد ارتحلت كثيراً .. واطلعت بتوسع .. وخبرت الحياة .. فوقفت على الكثير من خباياها . ! وإني أعتقد أنك سوف ترتاح إلي عن الآخرين .. هل تجد في حديثي إليك أي غضاضة أو عدم

ارتياح ؟

ريتشارد : حقاً .. ! إنك تملك عقلاً سليماً .. وتستعمله استعمالاً طيباً .. ولكنك سوف لا تتمكن من الوصول إلى السر الذى انطوى عليه .. قبل أن أودع الحياة .. وها هو ذا إعترافى ..

إدوارد : يمكنك أن تثق بى .. وإنه ليبدو لى أننى أعرفك من قبل

ريتشارد : « وقد تناول وسادة موضوعة على المكتب » ضع هذه خلف ظهرك لتريحك .. أوه .! أجل .. أنت تعرفنى من قبل .. لقد التقينا فى مدرسة القديس أنطونى

إدوارد : « مستذكراً » نعم .. لقد تذكرت الآن .. « ديك ألين » منافسى الخطير الذى فاز بجوائز المدرسة دونى ..

ريتشارد : أجل .. لقد كنا فى المدرسة زميلين .. كنت أنا مثال الطالب الغبى الذى يتخذ مكانه فى مؤخرة الصفوف .. وكنت أنت أنموذجاً رائعاً للجد .. سواء فى عملك أم فى لهوك .. أما أنا فقد كنت أرتبك فى أبسط الحاجات .. كم كنت أنظر إليك بعين الحاسد .. لنجاحك المطرد

إدوارد : إنك لم تكن غبياً كما تعتقد .. ولكنك لم تجد ميلاً من نفسك لدراسة الأشياء .. والتغلغل فى أعماقها .. إنك لم تكن عملياً بالمعنى المنشود

ريتشارد : لم أكن أبداً عملياً ... « لحظة صمت وشرود » ... ذات يوم .. حين كنت فى المدرسة .. عثرت — دون قصد — على كتاب غريب اسمه « قوى العقل النائمة »

إدوارد : أتقصد قراءة الأفكار ؟ أذكر أنى قرأت بعض تجاريب لهذا النوع .. كم كانت مسلية للغاية .. فمثلاً .. الرجل يفكر فى رقم من الأرقام .. أو اسم من الأسماء ... فتذكره له زوجه ... ولكن التجارب لم تكن دائماً موفقة

ريتشارد : لا ... لست أقصد قراءة الأفكار ... إن ما أعنيه هو معرفة « الغيب » . ومعرفة الغيب هى إدراك المستقبل والتنبؤ به .. والإنسان الذى يوهب هذا الشىء الخارق .. تكون له القدرة على لمس الحوادث قبل وقوعها .. قال الكتاب هذا .. وقال أيضاً إن هذه القوى نادرة الوجود جداً .. ففى كل مليون آدمى .. واحد فقط هو الذى يملكها .. وغالباً ما يجهل هذا الواحد أنه يملكها ! قال الكتاب إن هذه القوى يمكن تنميتها وفسر كيف يكون ذلك

إدوارد : « فى دهشة » أنا لا أفهم شيئاً مما تقول .. زدنى إيضاحاً

ريتشارد : « متضايقاً » سل نفسك عدة أسئلة عن أشياء تتوقع حدوثها .. دون أن تشغل عقلك بشىء .. وعندئذ تتوارد الإجابات على ذهنك

إدوارد : هراء .! إنه غير ممكن .. وليس لمخلوق القدرة على التنبؤ بالغيب

ريتشارد : أرجوك .. لا تقاطعنى .. أنصت إلى قصتى العجيبة :

لم أكن سوى طفل صغير غير مصدق ما يضمه هذا الكتاب بين دفتيه .. وهل اكتملت فيه عوامل الصواب .. أم لا .؟ حاولت بادئ ذى بدء .. أن أتنبأ بأشياء صغيرة على سبيل التجربة، فمثلاً كنت أسائل نفسى : من الذى سيقتحم على الغرفة بعد ؟ . ونجحت محاولاتى خطوات واسعة .. حتى أقدمت على ذلك الاختبار التاريخى الذى كنت أخشاه لعقيدتى الراسخة بأنه نوع من الخداع وحاولت التنبؤ بالأسئلة التى سوف تلقى على

إدوارد : وماذا كانت النتيجة ؟ أذكر أنك سمدت فجأة إلى القمة .. وصرت تبزنى بعدها فى كل الامتحانات

ريتشارد : نعم لقد كنت دائماً أحمل لك فى نفسى الحقد والحسد لتفوقك على .. ولكن بعد ذلك .. بدأ نجمى فى الصعود .. وأخذت أحوز السبق فى المعمعة دونك .. لأننى أصبحت مخادعاً عبقرياً .. أجل .. إنه اعتراف صارخ منى بأن نجاحى كان خدعة كبيرة .. ثم سارت حياتى فى ركب الحياة على تلك الوتيرة وهذا هو سر فشلى

إدوارد : ولكنك بتلك القوة الخارقة .. تستطيع أن تنال قسطاً وافراً من النجاح ..

ريتشارد : انتبه .. لقد كسبت جائزة مدرسية كما تعرف ... ثم حصلت على مجانية التعلم الجامعى .. وكل جائزة جامعية وصرت فى طليعة المتقدمين .. ولم يجرؤ أحد على منافستى .. ولما نلت إجازة التدريس عينت أستاذاً بالجامعة .. وأذكر أنى كنت أحدث أستاذ تولى ذلك المنصب .. وبعدها ...

إدوارد : « فى تحفز » ماذا حدث ؟

ريتشارد : قدمت استقالتى ... لقد كان يجب على أن أستقيل كنت أجهل المادة التى أدرسها ... وهى الأدب الإنجليزى ...

إذ كان عقلى لا يحمل سوى القـــدر اليسير الذى اجتزت به الامتحان ... أعنى الأسئلة التى تنبأت بهـا ... ودرست الإجابة عنها

إدوارد : وماذا كان من أمرك بعد ؟ أوفقت فى الحصول على عمل آخر ؟

ريتشارد : أرسلت طلبات عدة ... ضاعت معها محاولاتى أدراج الرياح ... بيد أنى فى النهاية وفقت إلى عمل متواضع ... كدرس بسيط ... ولـكنى استقلت

إدوارد : « فى عجب » استقلت ! كيف ذلك ؟ إنى أعتقد أنك سوف تـكون مدرسا موفقا ... لاسيما وأنك ستعرف ماستأتى به الامتحانات ... وسينجح تلاميذك بفضل إرشادك إياهم إلى الإجابة الصحيحة

ريتشارد : « فى أسف » أجل : كان من السهل أن أفعل ذلك . ولـكن ضميرى لم يسمح لى بأن ألقى بتلاميذى فى بؤرة الجهل التى تحتوينى . فلم أرض أن أخدعهم . وتجنبت مواضع الأسئلة التى سيمتحنون فيها .. وكان أن رسب جميع التلاميذ فرميت بعدم الـكفاءة على التدريس .. وأقصيت من عملى وواجهتنى عاصفة هوجاء من الفقر . فقلت لنفسى .. إذا لم يتيسر لى الحصول على المـال الشريف فسأنهج أى طريق آخر للحصول عليه .. « يرمق إدوارد بنظرة طويلة شاردة » ألم تذهب يوما إلى السباق .. ألم تراهن على جواد ما ؟

إدوارد : راهنت أكثر من مرة .. ولا زلت أراهن على الملـكة الفضية

ريتشارد : « وقد أسبل جفنيه وقتا » .. راجا هو الأول .. الملـكة الفضية هو الثانى .. الحظ هو الثالث .. سوف تخسر كل مراهناتك يامستر إدوارد ! لقـد ربحت من وراء المراهنات مالا طائلا .. ولـكنى لم أتذوق لذة هذا الربح لأنى كنت أعرف أنى سأربح دائما .. إن لذة المال ليست فى كسبه ... وإنما هى فى التنقيب عنه والجرى وراءه !!

إدوارد : إنك مثالى للغاية .. ولم تحـاول مطلقا أن تقنع نفسك بلذة الحصول على هذا المال

ريتشارد : « مستطردا » ولما لم أشعر بلذة هـذا الربح .. عولت على ترك المراهنات .. والتحقت بمكتب للتأمين .. كنت قادرا على أن أدلى بآرائى السديدة إلى الشركة فأشير عليها مثلا بقبول تأمين هـذا .. لأنه سيحيا طويلا .. ويرفض ذاك لأنه سيموت غدا ! ولاقت توجيهاتى رواجا محمودا .. فتبوأت فى الشركة مقعد المجد والشهرة .. وعينت وكيلا لها بإحدى المـدن الضخمة .. ثم مستشارا عاما لجميع شركات التأمين ..

إدوارد : لعله عمل طيب ومدر للربح فى وقت واحـد !

ريتشارد : لا بل كان على النقيض . لأننى كنت أدرك خطورة الجرم الذى أقدم عليه .. لقد كانت الشركة دائما تستحوذ على أكبر قدر من المال .. والجمهور هو الذى يخسر .. هل تسول لك نفسك أن تحرم إنسانا حقه .. فتسلب أمواله .. لتقدمها إلى الشركة .. وربما أنت تعرف أن أسرته وأولاده فى مسيس الحاجة إلى هذا المال ؟ إن التأمين الوحيد الذى جعلنى أشعر بالسرور ذلك الذى أشرت على الشركة أن تعقـده — وكنت أدرك نتيجته — تخسرت الشركة كل أموالها .. ولهذا طردت من عملى

إدوارد : إنك ذو قلب كبير . وضمير مستيقظ .. ولـكن لماذا لم تخض ميدان التجارة .. أو الصناعة .. وفى مقدورك أن تفلح دون أن تؤذى الآخرين .؟

ريتشارد : حاولت كلتيهما ولـكنى لم أستمر ..

إدوارد : كيف ؟ تقصد أنك لم تفلح فى تجارتك ؟

ريتشارد : كنت موفقا إلى حد بعيد .. فصار لدى المـال الوفير .. وأصبحت من ذوى الثراء .. ولـكنى فقدت لذة العراك فى سبيل الـكسب .. وهتفت بالسعادة من ورائه فضللت السبيل إليها .. إن مجرد كسب المال ليس كل ما ينشده إنسان طموح يحـاول جاهدا أن يساير ركب البشرية المواج الذى يتدافع بالمناكب نحو غاية سامية .. إن المنافسة والنضال .. والرغبة فى الغلبة .. والأمل فى الربح .. هى السعادة المأمولة لرجل الأعمال .. المال يمنح النفوذ والقوة .. ولـكن النفوذ والقوة لم يكونا عمادا للسعادة .. إن الأعمال يجب أن تقترن دائما بالمنافسة .. إنها مباراة يكسب فيها كل جدير بالـكسب ! أما أنا فكانت منافستى خالية من حرارة النضال .. لأننى كنت أعرف أن الظفر لى .. وحينما أظفر .. يتراءى أمام عينى شبح الخداع الذى أتوارى خلفه .. فأ تألم

إدوارد : إن قصتك هذه من النوع الشاذ يامستر ريتشارد ... وماذا تصنع الآن .؟

ريتشارد: لاشئ سوى اطلاعي على الروايات القصصية والأدب.. فأنت لا تستطيع أن تتنبأ بحوادث القصة لأن الخيال بعيد عن عالم الحقيقة .. وكذلك كتب التاريخ .. فقد مرت حوادثه .. وليس من السهل إرجاعها ..

إدوارد : ولكن .. دعني أعرف .. لماذا تضيق بالمناقشة .؟

ريتشارد : انظر إلى هذه الأوراق التي أمامك ..

إدوارد : « يتناولها ويقلب صفحاتها في دهشة وحيرة .. ثم يقرأ بصوت عال»

أتعرف اسمي ؟ أظن أن الدكتور « راودن » تحدث وإياك بشأني .. لقد طالعتني إحدى الصحف بمقال عنك .. نادتك فيه بالرجل الفريد في « لوتون » .. أنا أفخر بذكائي .. ولست أقصد التواضع فهو أغث من الكبرياء . أتقصد قراءة الأفكار اذكر أني قرأت بعض تجارب لهذا النوع .. كيف لم تصبح أغنى رجل في العالم ؟ الملكة القضية .. إن قصتك هذه من النوع الشاذ .. وماذا تصنع الآن ؟

ياإلهي .. إنه نفس الحديث الذي ألقيته عليك منذ دخلت الغرفة ..

ريتشارد : لقد كتبت هذا قبل مجيئك هنا ... « يصمت بعض الوقت » أنا لا أحب المناقشة ... لأني أعرف دائما ماسيقوله المرء الذي سيتحدث إلي ... « يشحب لونه وتظهر على محياه بوادر الخوف والفزع ويتمتم » كم تكون الساعة الآن ؟

إدوارد : السادسة إلا أربع دقائق ... ...

« يزداد لون وجهه امتقاعا ... ويلتمع في عينيه شرر مخيف ... ويقول إدوارد مضطربا »

لماذا استبقيتني معك حتى الآن . . ؟

ريتشارد : إن صحتك دائما تتقهقر خطوات إلى الوراء ..

إدوارد : أعرف ذلك .. وأعرف أني .. في طريقي إلى الموت..

ريتشارد : أنت دائم القلق على مصير زوجك وأولادك ... إن زوجك ستتزوج بعد واحد وعشرين شهرا ... أما أولادك ... فسيرعاهم إنسان غيرك

إدوارد : « صارخا » ... أرملتي ... أرملتي ... !! ماذا تقصد بهذا .؟

ريتشارد : ما الوقت الان .؟

إدوارد : السادسة إلا ثلاث دقائق ...

ريتشارد : « ينهض متثاقلا » لقد كنت دائما منافسي .. وأردت أن أسرد على سمعك قصتي قبل أن أرحل من دار الحياة « يجلس على المقعد لاهثا » هل تسمح لي بتلك الوسادة ؟

إدوارد : « وهو يناوله الوسادة » أمريض أنت يامستر ريتشارد .؟ هل لك في جرعة من النبيذ ؟

« يضع في يده كأسا من النبيذ .. ولكن ريتشارد لم يقو على ارتشافها » أمريض أنت ..؟

أأدعو لك طبيبا ؟

ريتشارد : « وهو يغالب شفتيه .. في ألم ممض »

الساعة السادسة ... من اليوم السادس ... من الشهر السادس ... من العام السادس والثلاثين ... هو التاريخ الذي سأجرع فيه كأس المنون ...

أنا ... لا ... أقدر ... أن ... أخادع .. في هذا ... الامتحان ... !!

أ ... أ ... أعني .. أ .. أ .. الموت ..!

تسقط الكأس من يده .. وتتلاشى الأضواء .. ويبدو المسرح في حلة من الظلام .. بينما تدق الساعة دقتها السادسة تماما

عبد القادر حميدة

مطبعة الرسالة